

الرَّدُّ الجليُّ على مَشهُورِ الأَشعريِّ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقَدِّمَة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفِرُهُ، ونعوذُ باللهِ من شُرورِ أنفُسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، أمَّا بعد:

إنَّ ممَّا أخَذه الله على أهلِ الشريعةِ والدِّيانةِ والعِلم أن يُبيِّنوا الحقَّ للنَّاس، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾.

فإن بيَّنوا الحقَّ على ما هو عليه دون تقصيرٍ = كانوا من أهلِ الطَّاعة والرِّضوان، وإن نبذوا ما أخَذ الله عليهم من تبيان الحقِّ والتبليغ = كانوا من أهل السَّخطِ والعُدوان.

فقَد قَال اللهُ تعالى ذامًّا لعلماء بني إسرائيل: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. فقد ذمَّهم الله تعالى لتقاعسهم عن تبيان الحقِّ والإنكار على من ارتكب المعاصِي والمخالفات مع قدرتِهم على ذلك.

فكانت هذه سنَّة الله في خلقهِ جميعًا، فإنَّ من عَلِمَ الحقَّ -ولو في مسألةٍ واحدةٍ- وجبَ عليه أن يُبيِّنه للنَّاس على قدر استطاعتهِ، وإلَّا كان من أهل السَّخطِ، مشابهًا لليهود وأحبارهم، فإنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَن رَأى منكم منكَرًا فلْيُغيِّره بيدِه، فإنْ لم يستطعْ فبلِسانِه، فإنْ لم يستطعْ فبقلبِه، وذلك أضعفُ الإيمانِ.»[1]

فهذا أمرٌ من النَّبيِّ ﷺ إلى كلِّ مكلَّفٍ رأى المنكر أو سمِعَه بأن يُنكِره وجوبًا، والإنكارُ يكون على مراتبَ بحسب الاستطاعة، فلا يسقط بالكلِّيَّة، وأدنى مراتب إنكار المنكر = إنكاره في القلبِ، وذلك أضعفُ الإيمان -نسأل الله ألَّا نكون منهم-.

[1] [صحيح مسلم]

فخصيصةُ الأمر بالمعروفِ والنَّهي عن المنكر من الخصائص التي اهتمَّت بها الشَّريعة وأبرزتها إبرازًا كبيرًا، فكانت شعيرة عظيمة، يكون العاملُ بها المقتولُ في سبيلها شهيدًا عند ربِّه، فهي شعيرةٌ مقدَّسة، تعلو كلَّ المقاييس والأمكنة والأزمنة والأشخاص والرُّتب، وما لحق ذلك من قداسةٍ وهميَّةٍ اصطنعتهَا عقولٌ بشريَّةٌ ضعيفةٌ لأناسٍ لا يعدون أن يكونوا بشرًا غير معصومين، يُصيبون ويخطئون.

فكان لزامًا على أهلِ الحقِّ أن يأخذوا على يدِ المخطئ الظَّالم حتَّى يرجع عن خطئهِ وظُلمه، وإلَّا أعَمَّهم الله بعقابه، وذلك ما جاء في حديث النَّبيِّ ﷺ عندمَا قال: «إنَّ النَّاس إذا رأوا ظالمًا فلم يأخذوا على يديْه أوشك أن يَعمَّهم الله بعقابٍ منه.» [1]

والنُّصوص في تقريرِ هذه الشَّعيرة وبيان عظمها كثيرةٌ يصعبُ حصرها، ولكن يكفينا قول ربِّنا جلَّ في علاه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

[1] [سنن الترمذي]

فربطَ الله عزَّ وجل خيريَّة هذه الأمَّة بإيمانها، وأمرها بالمعروفِ ونهيها عن المنكر، فهي خيرُ أمَّةٍ إن تحقَّقت فيها هاتان الخِصلتان، فإن تركتهما = صارَت من أراذلِ الأمُم، ولنا في أمَّة بني إسرائيل عبرة.

قال السَّعديُّ رحمهُ الله: «يَمْدَحُ تَعَالَى هذِهِ الأُمَّةَ، وَيُخْبِرُ أَنَّهَا خَيْرُ الأُمَمِ الَّتِي أَخْرَجَهَا اللهُ لِلنَّاسِ، وَذَلِكَ بِتَكْمِيلِهِمْ لأَنْفُسِهِمْ بِالإِيمَانِ الْمُسْتَلْزِمِ لِلْقِيَامِ بِكُلِّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَبِتَكْمِيلِهِمْ لِغَيْرِهِمْ بِالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، الْمُتَضَمِّنِ دَعْوَةَ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ وَجِهَادَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَبَذْلَ الْمُسْتَطَاعِ فِي رَدِّهِمْ عَنْ ضَلالِهِمْ وَغَيِّهِمْ وَعِصْيَانِهِمْ، فَبِهَذَا كَانُوا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.»[1]

ومن أجلِ ذلك، وبعد تقرير ما سبق، رأيتُ أن أكتَب هذه الرِّسالة القصيرة مبتغيًا بها وجه الله، مُسقطًا عن عاتِقِي إثم ما تحمَّلتهُ من وجوبِ الرَّدِّ على مشهور فوَّاز، لِمَا سمعتُ منه من أخطاءٍ عقديَّةٍ فادحةٍ لا يَحِلُّ السُّكوت عنها، خاصَّةً وأنَّ الرَّجل مُعظَّم عند أناسٍ كُثُر، وله أتباع، ونحن والله نخشى أن يحمِّلنا ربُّنا إثمه وإثم من تبِعَهُ، لتقصيرنَا في تبليغِ ما أوجبَ اللهُ علينا من الحقِّ، مع أنَّنا ندركُ غاية الإدراكِ ما قد يعتري هذا التِّبيان من متاعبٍ

[1] [تفسيرُ السَّعديِّ]

قد تلاحقنا على أرضِ الواقعِ: من تهديدٍ بالحبس، وتضييقٍ، وأذًى، وشتمٍ، ونحو ذلك، وهذا سببُ إعراضِ كثيرٍ من الشُّيوخ عن الرَّدِّ على مشهورٍ وغيره ممَّن يعتقدون هذه العقائد الفاسدة، ولعلَّ الله يعذرهم في ذلك، ولكن من ناحيَتِي فلا أُحِلُّ لنفسي السُّكوت، وقد علمتُ ضرر هذا الرَّجل على العامَّة و الخاصَّة.

ولذلك، فإنَّ هذه رسالةٌ بعنوان: «الرَّدُّ الجليُّ على مشهورٍ الأشعريِّ»، أُبيِّن فيها ما وقع فيه مشهورٌ من أخطاءٍ عقديَّةٍ فادحةٍ، خالف فيها إجماع المسلمين من أهلِ السُّنَّة والجماعة وفاقًا للأشاعرةِ والمعتزلة والجهميَّة، فنسألُ اللهَ العفو والعافية.

ويعلمُ الله أنَّني حاولتُ التَّواصُل مع هذا الرَّجل مرارًا لمناقشته بطريقةٍ علميةٍ محترمة، ولكن لم أستَطِع الوصول المباشر إليه، وقد لقيتُه في المسجد الأقصى مرةً وطلبتُ مناقشته في هذه المسائل فاعتذر، فكان لا بُدَّ بعدها من كتابةِ هذه الرِّسالة مرضاةً لله سبحانهُ وتعالى، وذبًّا عن دينه.

وأُنبِّه إلى أنَّني ما أكتبُ هذه الرِّسالة تشفِّيًا، ولا تشهِّيًا للرُّدود والقيل والقال، فليس هذا مطلبي، وعندِي ما يشغلني عن هذَا، وإنَّما أرجو بها أن يتوب اللهُ عليه من هذه المخالفاتِ العقديَّة الخطيرة، وأن يهدي قلبه إلى منهاجِ أهل الحديث والأثر، فهذا أحبُّ إليَّ من حُمر النَّعم كلِّها.

وإن كنتَ -عزيزي القارئ- ممَّن يتعصَّب إلى هذا الرَّجل، فلا تقبل انتقادَه أو تبيانَ خطئه بأي شكلٍ من الأشكال، أو كنتَ ممَّن يقيس النَّاس بشهاداتهم ومظاهرهم، أو ممَّن يقول: "مَن أنت حتى تردَّ على مشهور وهو من هو؟!" فلا تقرأ كلامي، ولا تُتعب نفسك معي، تخطَّ هذه الرِّسالة بسلام، واحفظ عليك حسناتك، فإنِّي أخشى عليك من بادرةِ ما تقول.

وأمَّا إن كنتَ ممَّن يقيس الحُجَّة بالحُجَّة، ويقرأ بعين رجلٍ يطلب الحقَّ أينما كان، ومعياره مسطرةُ الكتاب والسُّنَّة، فاحتسب قراءتك هذه لوجه الله، واقرأ الرِّسالة بعين منصفٍ لعلَّك تنتفع، نسأل الله لنا ولك التوفيق والسَّداد.



مُقدِّمةٌ مختصرَةٌ عن الأشاعِرَة

لا بُدَّ قبل أن نشرعَ في تَبيانِ أخطاءِ مَشهور فَوَّاز الَّتي خالَفَ فيها مَذهبَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ مُتابِعًا لمذهبِ الأَشعريِّ أن نُبَيِّنَ: مَن هم الأَشاعرةُ الَّذينَ يَنتَمي إليهم مَشهور فَوَّاز؟ وما هي عَقائدُهُم؟ وهل الأَشاعرةُ فِرقةٌ ضالَّةٌ مُبتَدِعة، أم فِرقةٌ سُنِّيَّةٌ مَرضيَّةٌ عند عُلماءِ هذه الأُمَّة؟

والجَوابُ عن هذه الأَسئلةِ مُتَعذِّرٌ في هذا المَقام، لِما فيه مِن طُولٍ وبَسطٍ، وقد كُتِبَت مُؤلَّفاتٌ وكُتُبٌ عَديدةٌ في الجَوابِ عنها، فَلْتُراجَع في مَظانِّها لِمَن أَرادَ التَّوسُّع[1]، وإنَّما سَأكتَفي على عَجَلَةٍ بذِكرِ تَلخيصٍ بَسيطٍ عن مَذهبِ الأَشاعِرةِ، ليكونَ تَلميحةً سَريعةً لِمَن لا يَعرِفُهُم:

---

[1] يُراجَعُ كتاب: "الأشاعرةُ في ميزانِ أهلِ السُّنَّةِ والأشاعرة" للشَّيخ فيصل الجاسم – وكتاب: "الأشاعرة والماتريديَّة في ميزان أهل السُّنَّة والجماعة" وكتاب: "نقض دعوى انتسَاب الأشاعرة لأهل السُّنَّة والجَماعة" للمشرفِ العامِّ علوي بن عبد القادر السَّقَّاف – وكتاب: "الأشاعرةُ ليسوا من أهل السُّنَّة والجَماعة" للشَّيخ فلاح مندكار – وكتاب: "منهجُ الأشاعرةِ في العقيدة"، للشَّيخ عبد الرَّحمن بن صالح المحمود – وكتاب :"عقيدةُ الأشاعرة دراسة نقدية لمنظومة جوهرة التَّوحيد"، للشَّيخ حسَّان بن إبراهيم الرديعان – ويُراجع بحث الشَّيخ سلطان العُميري بعنوان: "براءةُ الأشاعرةِ من مَذهَبِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ".

الأَشاعِرةُ هي فِرقةٌ كَلاميَّةٌ ظَهَرت في القَرنِ الثَّالثِ الهِجريِّ، تَنتَسِبُ إلى أَبي الحَسَنِ الأَشعريِّ، وهو رَجُلٌ فيلسوفٌ مُتكَلِّم، وُلِدَ في البَصرةِ سَنةَ 260هـ، وقد كانَ مُتخبِّطًا مِن النَّاحيةِ العِلميَّةِ في حياتِهِ، فَلَم يكن لهُ كَبيرُ شَأنٍ في الفِقه، أو الأُصول، أو التَّفسير، أو الحديث، أو اللُّغة، أو نَحو ذلك مِن عُلومِ الشَّريعة، وإنَّما غايةُ عِلمِهِ أنَّه كانَ مُتكَلِّمًا بارعًا في عِلمِ الكلامِ (الفَلسفةِ اليُونانيَّة)، فقَد كانَ على مَذهبِ المُعتَزلةِ سِنِينَ كَثيرة، ثُمَّ انتَقَلَ إلى مَذهبِ الكُلَّابيَّة، ثُمَّ رَجَعَ في آخِرِ حياتِهِ -وقد اختَلَفَ العُلماءُ في رُجوعِهِ- إلى مَذهبِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ مَع بَعضِ المُخالَفاتِ الَّتي بَقِيَت عِندَهُ مِن مَذهَبِهِ القَديم، وأَلَّفَ في ذلك كِتابَه "الإبانة"، حيثُ قَرَّرَ فيه اعتِقادَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ -مَع بَعضِ المُخالَفات-.

قالَ الإمامُ أَبو نَصرٍ السِّجزيُّ واصفًا الأَشعريَّ بأَنَّهُ مِن أَئمَّةِ الضَّلالَة: «ثُمَّ بُلِي أهلُ السُّنَّةِ بعدَ هؤلاءِ بقَومٍ يَدَّعونَ أَنَّهُم مِن أهلِ الاتِّباعِ. وضَررُهُم أَكثرُ مِن ضَرَرِ المُعتَزلةِ وغيرِهِم، وهُم: أَبو مُحَمَّدِ بنِ كُلَّاب، وأَبو العَبَّاسِ القُلانسي، وأَبو الحَسَنِ الأَشعري. وبَعدَهم: مُحَمَّد بنُ أَبي تَريد بسِجستان، وأَبو عَبدِ الله بنُ مُجاهد بالبَصرة. وفي وَقتِنا: أَبو بَكرِ بنُ الباقلانيِّ ببغداد، وأَبو إِسحاقَ الإِسفَرايِني، وأَبو بَكرِ بنُ فُورك بخُراسان. فَهؤلاءِ يَرُدُّونَ على المُعتَزلةِ بَعضَ أقاويلِهِم، ويَرُدُّونَ على أهلِ الأَثَرِ أَكثرَ مِمَّا رَدُّوهُ على المُعتَزلة. وظَهَرَ بعدَ

هؤلاءِ الكَراميَّةُ والسَّالميَّةُ فَأَتَوا بِمُنكَراتٍ مِن القَول، وكُلُّهُم أَئمَّةُ ضَلالَةٍ يَدعونَ النَّاسَ إلى مُخالَفةِ السُّنَّةِ وتَركِ الحديث.» [1]

وكذلكَ قالَ الإمامُ ابنُ قُدامةَ في وَصفِ الأَشعريِّ وأنَّهُ أَجنَبيٌّ عن العِلمِ وأَهلِهِ: «ومِن العَجَبِ أنَّ إمامَهُم الَّذي أَنشَأَ هذِه البِدعَةَ رَجُلٌ لَم يُعرَفْ بدِينٍ ولا وَرَعٍ ولا شَيءٍ مِن عُلومِ الشَّريعةِ البَتَّةَ، ولا يُنسَبُ إليهِ مِن العِلمِ إلَّا عِلمَ الكلامِ المَذمومِ، وهُم يَعترِفونَ بأنَّهُ أَقامَ على الاعتِزالِ أَربَعينَ عامًا ثُمَّ أَظهَرَ الرُّجوعَ عنهُ، فَلَم يَظهَر مِنهُ بعدَ التَّوبةِ سوى هذِه البِدعَةِ. فَكيفَ تَصوَّرَ في عُقولِهِم أنَّ اللهَ لا يُوفِّقُ لَمعرِفَةِ الحَقِّ إلَّا عَدوَّه، ولا يَجعَلُ الهُدى إلَّا مَعَ مَن ليسَ لهُ في عِلمِ الإسلامِ نَصيبٌ ولا في الدِّينِ حَظٌّ؟» [2]

وقالَ: «أَخبِرونا: هل وَجَدتُّم هذِه الضَّلالَةَ وقَبيحَ المَقالَةِ عندَ أَحَدٍ مِنَ المُتَقدِّمينَ سِوى قائِدِكُم إلى الجَحيمِ، النَّاكِبِ بِكُم عنِ الصِّراطِ المُستقيمِ، الَّذي لَم يُعرَفْ لهُ فَضيلةٌ في عِلمٍ شَرعيٍّ ولا دِينٍ مَرضيٍّ، سِوى عِلمِ الكلامِ المَذمومِ المَشؤومِ الَّذي الخَيرُ فيهِ مَعدومٌ. نَشَأَ في الاعتِزالِ إلى أَربعينَ عامًا يُناظِرُ عليهِ ويدعو النَّاسَ إليهِ، ثُمَّ أَثمَرَ ذلكَ مَقالَتَهُ هذِه الَّتي يَرُدُّ

---

[1] [رِسالةُ السِّجزيِّ إلى أَهلِ زُبيد]

[2] [المُناظَرة في القُرآن]

بها على اللهِ سُبحانَهُ وعلى نَبِيِّهِ ﷺ، وخالَفَ بها المُسلِمينَ والجِنَّةَ والنَّاسَ أَجمَعينَ. فَكيفَ رَضِيتُم بهِ إِمامًا عِوَضًا عن رَسولِ اللهِ ﷺ؟! وكيفَ قَدَّمتُم قَولَهُ على قَولِ اللهِ سُبحانَهُ؟!» [1]

ومِثلُ هذا كثيرٌ مَشهورٌ، فإنَّ الرَّجلَ لَمْ يَكُن مِن أهلِ العِلمِ المَعرُوفينَ عندَ أهلِ السُّنَّةِ والحديثِ والأثرِ، وإنَّما كان بارعًا في عِلمِ الكلامِ والفَلسفةِ، وتِلكَ عُلومٌ فاسِدةٌ، ما دَخَلَت قَلبَ رَجُلٍ قَطُّ إلَّا وأَفسَدَتهُ، فكانت سَببَ تَخَبُّطِ الأَشعريِّ باختِلافِ مَراحِلِهِ.

ولذلكَ ذمَّ أَئمَّةُ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ تَعلُّمَ عِلمِ الكلامِ والاشتِغالَ فيه، حتَّى قالَ الشَّافعيُّ رحمهُ الله: «حُكمي في أَصحابِ الكلامِ أن يُضرَبوا بالجَريدِ، ويُحمَلوا على الإبِلِ، ويُطافَ بِهِم في العَشائرِ والقَبائلِ، ويُقالَ: هذا جَزاءُ مَن تَركَ الكِتابَ والسُّنَّةَ، وأَخَذَ في الكلامِ.» [2]

وَقال أيضًا: "لَقَدِ اطَّلَعْتُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ عَلَى شَيْءٍ وَاللهِّ مَا تَوَهَّمْتُهُ قَطُّ، وَلَأَنْ يُبْتَلَى الْمُرْءُ بِمَا نَهَى اللهُّ عَنْهُ خَلَا الشِّرْكَ بِاللهِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُبْتَلَى بِالْكَلَامِ." [3]

---

[1] [رِسالةٌ في القُرآنِ وكَلامِ الله]

[2] [شَرفُ أَصحابِ الحديث]

[3] [الحجة في بيان المحجة]

وقَال أَبُو حَنِيفَةَ: "لَعَنَ اللهُ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ فَإِنَّهُ فَتَحَ لِلنَّاسِ الطَّرِيقَ إِلَى الْكَلَامِ فِيمَا لَا يعنيهم من الْكَلَام." [1]

وقَال مالكٌ: "لَعَنَ اللهُ عَمْرًا، فَإِنَّهُ ابْتَدَعَ هَذِه الْبدع من الْكَلَام، ولو كان الْكَلَامُ عِلْمًا لَتَكَلَّمَ فِيهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ كَمَا تَكَلَّمُوا فِي الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ، وَلَكِنَّهُ بَاطِلٌ يَدُلُّ عَلَى بَاطِلٍ." [2]

وقَال أحمدُ ابنُ حنبلٍ: "لست بِصَاحِب كَلَام، وَلَا أَرَ الكَلَام فِي شَيْء من هَذَا إِلا مَا كَانَ فِي كتاب الله أَو حَدِيث عَن رَسُول الله ﷺ أَو عَن أَصْحَابه أَو عَنِ التَّابِعين، فَأَمَّا غير ذَلِك فَالكَلَام فِيهِ غير مَحْمُود." [3]

وَقال قَوَّام السُّنَّة الأصبهانيُّ: "وأنَّ أهل الكلامِ ليسوا من العُلَمَاء." [4]

---

[1][ذم الكلام وأهله]

[2][ذمُّ الكلام وأهله]

[3][السنَّة لعبد الله]

[4][الحجَّة في بيان المحجَّة]

وغيرُها الكَثيرُ مِن نُقولاتِ أهلِ العِلمِ مِن أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ تُغلِّظُ على مَن اشتغَلَ بعِلمِ الكلامِ، لأنَّها ليست مِن عُلومِ الشَّريعةِ، وإنَّما تَضرِبُ في أصولِ الدِّينِ، وتُوصِلُ المُشتغِلَ بِها إلى الكُفرِ. ومَن أَرادَ الاستِزادةَ في هذا البابِ فَليُراجِعْ كِتابَ ذمِّ الكلامِ وأهلِه للهَرويِّ رحمهُ الله.

وبَعدَ هذا التَّخبُّطِ العِلميِّ، رَجَعَ أبو الحَسَنِ الأَشعَريُّ في آخِرِ مَرحلةٍ في حياتِهِ إلى مَذهبِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ، وأَلَّفَ في ذلك كِتابَه الإبانة، ولكن قَومَهُ لَم يَرجِعوا إلى ما رَجَعَ إليه، فَهُم يُشكِّكونَ في رُجوعِه، فالتَزَموا ما هُم عليه مِن المُخالَفاتِ العَقَديَّةِ لأهلِ السُّنَّةِ، وازدَادوا سُوءًا جيلًا بعدَ جيلٍ، حتّى شابَهوا المُعتَزِلةَ والجَهميَّةَ في كَثيرٍ مِن أَقولِهم المُتأَخِّرةِ.

وقد مَرَّ المَذهبُ الأَشعَريُّ في أَطوارٍ عَديدةٍ، تَطَوَّرَت فيها أَقولُ المَذهبِ حتّى خالَفَت ما كانَ عليه أبو الحَسنِ الأَشعَريُّ ذاتُه في بادِئِ أَمرِه.

قال الشَّيخُ سلطانُ العميريُّ وهو يلخِّصُ الأطوارَ التي مرَّ بها المذهبُ الأشعريُّ: "الطَّوْرُ الأوَّلُ: وهي مرحلةُ المتقدِّمين من أئمَّةِ المذهبِ الأشعريِّ، وحقيقةُ مذهبِ الأشعريَّةِ في

هذه المرحلةِ في بابِ الأسماءِ والصفاتِ يمكنُ أن نلخِّصَها في أنهم يُقِرُّون بإثباتِ الصفاتِ الخبريَّةِ في الجملةِ؛ فهم ينصُّون صراحةً على أنَّ الصفاتِ الخبريَّةَ ثابتةٌ للهِ، فيقولون مثلًا: «فصلٌ في إثباتِ صفةِ الوجهِ للهِ»، ويردُّون على مَن يُؤوِّلُها، وكذلك يقولون: «فصلٌ في إثباتِ صفةِ اليدين، والعينين، والقدمين» ونحوها.

فالأشعريُّ مثلًا نصَّ على ذلك، وأطالَ النفسَ كثيرًا في الردِّ على المعتزلةِ في تأويلِهم للصفاتِ الخبريَّةِ، وأثبتَ بطلانَ تأويلِهم لصفةِ اليدِ والعينين والقدمين بأدلَّةٍ كثيرةٍ، وكذلك فعلَ أبو بكر الباقلانيُّ، وكذلك ابن فوركٍ، والبيهقيُّ وغيرُهم، وإن كانت بعضُ التفصيلاتِ التي يذكرونها في الصفاتِ الخبريَّةِ ليست إثباتًا محقَّقًا، والمقصودُ أنهم يقرُّون بأصلِ إثباتِ الصفاتِ الخبريَّةِ، وصفةِ العلوِّ والاستواءِ في الجملةِ، ويؤوِّلون الصفاتِ الاختياريَّةَ، فلا يثبتون الصفاتِ الاختياريَّةَ التي تتعلَّق بمشيئةِ اللهِ وقدرتِه.

فائدةٌ: المتتبِّعُ لتقريراتِ أئمةِ الأشاعرةِ المتقدِّمين يجدُ لديهم تراكيبَ توحي بأنهم لا يثبتون الصفاتِ الخبريَّةَ إثباتًا محقَّقًا، ولهذا قيلَ في التعبيرِ عن موقفِهم: «في الجملةِ»، إشارةً إلى أنَّ كثيرًا منهم لم يحقِّق الإثباتَ كما ينبغي، فهم لا يلتزمون بما التزمَ به أئمةُ السلفِ في إثباتِ الصفاتِ الخبريَّةِ، وإنما يُضيفون قدرًا من الأمورِ المنفيَّةِ المُجْمَلَةِ، كقولِهم إنها ليست

جارحةً ولا أدواتٍ وغيرها، فهذا النفيُ مجملٌ يحتاج إلى تفصيلٍ وتفريقٍ، ولكن لا بدَّ من التأكيدِ على أنَّ إثباتَ الأشعريِّ وأصحابِه المتقدِّمين للصفاتِ الخبريَّةِ يناقضُ التأويلَ فيها والتفويضَ، فهم ليسوا مؤوِّلين لها ولا مفوِّضةً، وهذا يناقضُ ما يُنسبُ إليهم كثيرٌ من أصحابِهم المتأخرين.

الطورُ الثاني: وهي مرحلةُ المتوسِّطين، وتبدأ مع الجوينيِّ، وقد حصلَ تطوُّرٌ ملحوظٌ ظاهرٌ في المذهبِ الأشعريِّ في بابِ الأسماءِ والصفاتِ في أمرين أساسيين:

الأمرُ الأولُ: توسيعُ دائرةِ التأويلِ، فأوَّلوا الصفاتِ الخبريَّةَ كلَّها كالوجهِ واليدين والعينين، وأضحوا يذكرون التأويلاتِ التي يذكرها المعتزلةُ، فاختفت التراجمُ التي كنا نجدُها في كتبِ الأشاعرةِ المتقدِّمين، فلا تكادُ تجدُ ترجمةً في كتبِ المتوسِّطين والمتأخِّرين يُقالُ فيها مثلًا: «فصلٌ في إثباتِ صفةِ الوجهِ للهِ» ونحوها.

الأمرُ الثاني: إدخالُ بعضِ الموادِّ الاعتزاليَّةِ وبعضِ الموادِّ الفلسفيَّةِ في تقريرِ الأسماءِ والصفاتِ، وهذا يظهرُ في تقريراتِ الجوينيِّ في كتابِ «الإرشاد» و«الشامل» وغيره ممن

هو في مرحلتِه، وإدخالُ موادَّ اعتزاليةٍ وفلسفيةٍ في تقريرِ الأسماءِ والصفاتِ أحدثَ التطوُّراتِ التي حصلت في المرحلةِ الثانيةِ، فانتهى الأشاعرةُ فِي هذه المرحلةِ إلى تأويلِ كلِّ الصفاتِ وعدمِ التصريحِ بإثباتِها، إلا الصفاتُ التي يسمُّونها الصفاتِ العقليَّةَ؛ وهي الصفاتُ السبعُ المشهورةُ: الحياةُ، والعلمُ، والكلامُ، والإرادةُ، والقدرةُ، والسمعُ، والبصرُ.

الطورُ الثالث: وهو مرحلةُ المتأخِّرين؛ ومن أشهرِ مَن يُمثِّلُ هذا الطورَ: الرازيُّ، والآمديُّ، وليس فيها تغيُّرٌ كبيرٌ على مستوى المقالاتِ، وإنما التغيُّرُ حصلَ على مستوى الدلائلِ، فقد تخللت تقريراتِهم عددٌ من الموادِّ الفلسفيَّةِ والجهميَّةِ المحضةِ، وأضحت كثيرٌ من الأدلةِ التي يعتمدون عليها متطابقةً مع الموادِّ الفلسفيةِ، وأضحى المتوسِّطون والمتأخِّرون يفرِّقون بين نوعين من الصفاتِ: صفاتٍ لا تقتضي الجسميةَ، ولا الحدوثَ، ولا التركيبَ؛ وهي الصفاتُ العقليَّةُ السبعُ فقط، وصفاتٍ تقتضي الحدوثَ، والجسميةَ، والتركيبَ؛ وهي كلُّ الصفاتِ الخبريةِ وغيرها، فانحصرَ الجدلُ بين الأشاعرةِ المتوسِّطين والمتأخِّرين، وبين المعتزلةِ في الصفاتِ العقليَّةِ فقط، أما المتقدِّمون من الأشاعرةِ، فإنَّ دائرةَ

الخلافِ بينهم وبين المعتزلةِ كانت في صنفين من الصفاتِ: الصفاتِ الخبريَّةِ، والصفاتِ العقليَّةِ." [1]

وهذا تَلخيصٌ بَسيطٌ للأطوارِ التي مَرَّ بها المَذهبُ الأَشعَريُّ، وفيهِ بَيانُ تَخبُّطِ المَذهبِ وتَبايُنِ أَقوالِه بَينَ طَبقاتِ عُلمائِه المُنتَسِبينَ إليه، مِمَّا يَدُلُّ على فَسادِ المَذهبِ ومَنظومَتِه التَّأصيليَّةِ، فإنَّ الحَقَّ واحِدٌ، ولا بُدَّ أن يَكونَ واحِدًا في جميعِ الطَّبقاتِ، وهذا مِمَّا يَمتازُ به أهلُ السُّنَّةِ، وهو أنَّ كلامَهم في أُصولِ العَقائِدِ مُتَّسِقٌ مُتزِنٌ على مَرِّ العُصورِ لم تشبْهُ شائِبَةٌ، على خِلافِ أهلِ البِدعِ الَّذينَ يُؤصِّلونَ تَأصيلاتٍ باطِلةً يَلزَمُ منها أَقوالٌ لم يَعرِفْها النَّبيُّ ﷺ ولا صَحابَتُه ولا تابِعوهُ رضيَ اللهُ عنهم أَجمَعينَ، ومَع ذلكَ يَلتزِمونَها.

فمِنَ المُخالَفاتِ الَّتي يُخالِفُ فيها الأَشاعِرةُ مَذهبَ أهلِ السُّنَّةِ:

١- مَصادِرُ التَّلقِّي: فمَصدَرُ التَّلقِّي عندَ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ هو الكِتابُ والسُّنَّةُ، أمَّا عندَهُم فمَصدَرُ التَّلقِّي هو العَقلُ.

---

[1] [العقود الذَّهبيَّة]

٢- حُجِّيَّةُ أَخبارِ الآحادِ في العَقائِد: فأخبارُ الآحادِ -الأحاديثُ النَّبويَّةُ الصَّحيحةُ الَّتي لم تَتواتَر عنِ النَّبيِّ ﷺ- الَّتي رواها العُدولُ الثِّقاتُ غَيرُ حُجَّةٍ عندَهم في الاعتِقادِ، فلا يَصِحُّ الاعتمادُ عليها ولا الاحتِجاجُ بها.

٣- بابُ الإيمانِ: فأهلُ السُّنَّةِ يَقولونَ إنَّ الإيمانَ اعتِقادٌ وقَولٌ وعَمَلٌ، والأَشاعِرةُ يَقولونَ إنَّ الإيمانَ هو التَّصديقُ فقط، على خِلافٍ بَينَهُم: هل يَدخُلُ القَولُ في الإيمانِ أم لا؟

٤- بابُ الأسماءِ والصِّفاتِ: يُثبِتُ أهلُ السُّنَّةِ جَميعَ صِفاتِ اللهِ الوارِدةِ في الكِتابِ والسُّنَّةِ على أنَّها صِفاتٌ حقيقيَّةٌ تَليقُ بجَلالِه وعَظَمَتِه. وأمَّا الأَشاعِرةُ فإنَّهُم يُثبِتونَ سَبعَ صِفاتٍ أو ثَمانٍ -على خِلافٍ بَينَهم- فَقط، ويَنفونَ ما سِوى ذلكَ، ومَعنى ذلكَ أنَّهُم يَنفونَ عُلوَّ اللهِ على عَرشِه، ونُزولَه إلى السَّماءِ الدُّنيا، وضَحكَه، وغَضبَه، وكلامَه المَسموعَ، ويَدَه، ووَجهَه، وعَينَيه، وما سِوى ذلكَ مِن صِفاتِ اللهِ سُبحانه.

٥- بابُ القَدَرِ: فإنَّ الأَشاعِرةَ يَنفونَ قُدرةَ العَبدِ، ولا يَجعَلونَ لاختِيارِه تَأثيرًا، فَهو في حَقيقةِ أَمرِه مَجبورٌ، على خِلافِ أهلِ السُّنَّةِ الَّذينَ يُثبِتونَ للعَبدِ قُدرةً واختِيارًا.

والكلامُ في هذا يَطولُ، فخِلافُهم مَعَنا طَويلٌ واسِعٌ، والشَّاهدُ أنَّهُم يُخالِفونَ أهلَ السُّنَّةِ في جُلِّ الأَبوابِ العَقَديَّةِ، وهذا مِمَّا أَدَّى إلى تَبدِيعِهم، فقدِ اتَّفَقَ أهلُ السُّنَّةِ على تَبدِيعِ الأَشاعِرةِ، واختَلَفوا في تَكفيرِهم، وهذا مِن حَيثُ العُمومِ، وأمَّا تكفيرُ المُعَيَّنِ منهم فلا يَكونُ إلَّا بَعدَ ثُبوتِ الشُّروطِ وانتِفاءِ المَوانِعِ.

وقد نَقَلَ تَكفيرَهم غَيرُ واحِدٍ مِن أهلِ العِلمِ، فقد قالَ أبو الفِداءِ المُؤيَّدُ: «أَظهَرَ الأَشعَريُّ مَذهَبَه، وقَرَّرَه، فصارَت مَقالَتُه أَشهَرَ المَقالاتِ، حتّى طَبَقَ الأَرضَ ذِكرُها، ومُعظَمُ الحَنابِلةِ يَحكُمونَ بكَفرِه ويَستَبيحونَ دَمَه، ودَمَ مَن يَقولُ بقَولِه.» [1]

وقالَ الحافِظُ ابنُ مَنده: «هذِه صِفةُ الزَّنادِقةِ الأَشعَريَّةِ، الَّذينَ ظَهَروا في هذا العَصرِ، فأَعرَضوا عنِ الكِتابِ والأَثَرِ، واعتمَدوا القِياسَ، وقالوا بعُقولِهم السَّخيفةِ ما يُخالِفُ الأَثَرَ.» [2]

---

[1] [المُختَصرُ في أَخبارِ البَشَر]

[2] [مَجلِسٌ في الرَّدِّ على الزَّنادِقةِ]

وقالَ الإمامُ الهَرويُّ: «وسَمِعتُ بِلالَ بنَ أبي مَنصورٍ المُؤذِّنَ يقولُ: سَمِعتُ عُمرَ بنَ إبراهيمَ يقولُ: لا تَحِلُّ ذَبائِحُ الأَشعَريَّةِ، لأَنَّهُم ليسوا بمُسلِمينَ، ولا بأَهلِ كِتابٍ، ولا يُثبِتونَ في الأَرضِ كِتابَ اللهِ.» [1]

وقالَ ابنُ المِبرَد: «أَبو العَبَّاسِ أَحمدُ بنُ محمَّدٍ النَّهاونديُّ، كانَ إمامًا جَليلًا، ذَكَرَ أبو عليٍّ الحَدَّادُ عِظَمَ شَأنِه، وأَنَّه كانَ مُنكِرًا على أهلِ الكلامِ، وتَكفيرِ الأَشعَريَّةِ.» [2]

فهذِه بَعضُ النُّقولاتِ في تَكفيرِ الأَشعَريَّةِ، وقد تَركتُ غَيرَها، فإنَّ هذا ليس بمَقامِ تَحريرِ الحُكمِ على الأَشعَريَّةِ، وإنَّما أَردتُ بهذا تَبيانَ مَدى مُفارَقَةِ هذِه الجَماعَةِ لمَذهبِ أهلِ السُّنَّةِ والأَثَرِ حتَّى يَصِلَ الأَمرُ إلى تَكفيرِهم.

---

[1][ذمُّ الكلامِ]

[2][جَمعُ الجُيوشِ والدَّساكِرِ على ابنِ عَساكِر]

وحَتَّى الَّذي لا يُكفِّرُهم ويَحكُمُ بتبديعِهم فإنَّه لا يُكفِّرُهم لِعُذرٍ يُعذَرونَ به، كالتَّأويلِ أو الجَهلِ، ولكنَّه يَحكُمُ على أَقوالِهم بأنَّها أَقوالٌ كُفريَّةٌ، فَانتَبِهْ يا رَعاكَ اللهُ، فالحالُ خَطيرٌ جِدًّا، نَسأَلُ اللهَ العافِيَةَ والسَّلامةَ.



هل يتكلَّم الله بحرفٍ وصوتٍ؟

قال مشهورُ فوَّاز: "ولله كلامٌ، حقيقيٌّ، ولكن ليسَ ككلامنا، كلامٌ بلا حرفٍ ولا صوتٍ، كلامٌ بلا حرفٍ ولا صوتٍ، لله كلامٌ حقيقيٌّ، يليقُ به سبحانهُ وتعالى، لا نعرفُ حقيقة هذا الكلام، بلا حرفٍ قطعًا، ليس ككلامِ البشر، بلا حرفٍ ولا صوتٍ."[1]

فَأقولُ: إنَّ المُتقرِّرَ في القَواعِدِ أنَّ العَقيدةَ الإسلاميَّةَ تُؤخَذُ مِن القُرآنِ والسُّنَّةِ بفَهمِ سَلَفِ الأُمَّةِ، وعِندما أقولُ سَلَفُ الأُمَّةِ –وسَتسمعونَهُ كثيرًا– أَعنِي بِهِم السَّلَفَ الصَّالِحَ، أيِ الصَّحابةَ والتَّابعينَ وأَتباعَ التَّابعينَ، الَّذينَ شهِدَ لهمُ النَّبيُّ ﷺ بالخَيريَّةِ، فقَد قالَ النَّبيُّ ﷺ: «خَيرُ النَّاسِ قَرني، ثُمَّ الَّذينَ يَلونَهم، ثُمَّ الَّذينَ يَلونَهم، ثُمَّ يَجيءُ أَقومٌ تَسبِقُ شَهادةُ أَحدِهم يَمينَهُ، ويَمينُهُ شَهادتَهُ.»[2]

---

[1] 1:49-2:13 – وكل ما أنقله من كلامٍ لمشهور فوَّاز هو من مقطعٍ منشورٍ على اليوتيوب، بعنوان: "العقيدة الاسلامية درس 5 الشيخ د. مشهور فواز"، وأنا أنقل كلامه هنَا بالحرف دون إنقاص كلمةٍ واحدةٍ، ويمكنكُم أن تراجعوا كلامَهُ من ورائي.

[2] [صحيحُ البخاري]

فبِشهادةِ النَّبيِّ ﷺ أنَّ أَصحابَ هذهِ القُرونِ الثَّلاثةِ هُم أَخيرُ النَّاسِ اعتقادًا وفِقهًا وعَمَلًا -وهُم كذلك-، فهُم الَّذينَ شهِدوا تَنزيلَ الوَحي، وهُم الَّذينَ رافَقوا النَّبيَّ ﷺ ودرَسوا في مَدرستِه، فهُم أَعلَمُ النَّاسِ بشَريعتِه، وهُم الَّذينَ قالَ اللهُ فيهِم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدىٰ وَيَتَّبِع غَيرَ سَبيلِ المُؤمِنينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَت مَصيرًا﴾.

ولا شكَّ أنَّ الصَّحابةَ والتَّابعينَ وأَتباعَ التَّابعينَ داخِلونَ في هذهِ الآيةِ، لا سِيَّما وأنَّهُ يُستَدَلُّ بها في حُجِّيَّةِ إجماعِ الصَّحابةِ ومَن بعدَهم. وقَال اللهُ جلَّ جلالُه: ﴿فَإِن آمَنوا بِمِثلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهتَدَوا﴾، فهُم أَكمَلُ النَّاسِ إيمانًا، وطالما أنَّهُم كذلكَ وقد أَدرَكوا الخَيرَ كُلَّهُ مع رسولِ الله ﷺ، فمِن غيرِ المُمكنِ أن نَسبِقَهم إلى اعتقادٍ أَو إلى قولٍ أَو إلى عَملٍ لم يَكُن على عَهدِهم.

قال اللهُ جلَّ جلالُه: ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الإِسلامَ دينًا﴾، قالَ الإمامُ مالكٌ مُعقِّبًا على هذهِ الآيةِ: «فما لم يَكُن يومَئذٍ دينًا فلَن يَكونَ اليومَ دينًا.»[1]، وهذا صَحيحٌ، فالمُتقرِّرُ في القَواعِدِ أنَّ تَأخيرَ البَيانِ عن حاجتِه لا يَجوزُ، فلم

---

[1] [الاعتصام]

يَترُكِ النَّبيُّ ﷺ شارِدةً ولا وارِدةً إلَّا وبيَّنَها، قالَ النَّبيُّ ﷺ: «تَركتُكُم على البَيضاءِ لَيلِها كنهارِها لا يَزيغُ عنها بَعدي إلَّا هالِكٌ، ومَن يَعِشْ منكم فسَيرى اختِلافًا كثيرًا، فعَليكم بما عَرَفتُم من سُنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاءِ المَهدِيِّينَ الرَّاشدينَ.»[1]

فدينُ اللهِ كامِلٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ بفَهمِ الصَّحابةِ ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ، فهُم الَّذينَ نَقَلوا دينَ اللهِ، وهُم النَّبعُ الصَّافي لتَفسيرِه، فلا يجوزُ لأيِّ مُسلِمٍ كائنًا مَن كان أن يَعتقِدَ عَقيدةً أَو يَفهَمَ فَهمًا أَو يَعملَ عَملًا لم يَكُن عليهِ السَّلَفُ رضوانُ اللهِ عليهم.

وإذا نَظرنا في القُرآنِ أَو في السُّنَّةِ أَو في كلامِ السَّلَفِ ومَن تَبِعَهم وَجدنا ما يُعارِضُ قولَ مَشهورٍ فَوَّاز الباطلَ بشكلٍ صَريحٍ وواضِحٍ، فإنَّنا نتَّفِقُ معهُ على أنَّ للهِ كلامًا يَليقُ بهِ سبحانه، ولا يُشبِهُ كلامَ المَخلوقين، كُلُّ هذا جَيِّدٌ، ولكن أن يَزعُمَ أنَّ كلامَ اللهِ لا يَكونُ بحَرفٍ وصَوتٍ فهذا باطِلٌ غايَةَ البُطلانِ، وليسَ هو من كلامِ أهلِ السُّنَّةِ، فإنَّ هذا كلامُ الجَهميَّةِ الَّذينَ أَرادوا نَفيَ كلامِ اللهِ عنهُ سبحانه، وزَعمَ مَشهورٌ فَوَّاز أنَّ كلامَ اللهِ بلا حَرفٍ وصَوتٍ هو نتيجةٌ للأَصلِ الَّذي قَرَّرَهُ الأَشاعِرةُ، وهو أنَّ كلامَ اللهِ عندَهم يَنقسِمُ إلى قِسمَين:

---

[1][الفتحُ الرَّباني]

١ – كلامٌ نَفسيٌّ: يَتكلَّمُ بِهِ اللهُ في نَفسِه بلا حَرفٍ ولا صَوتٍ -كَالأَخرسِ حاشاه- وهو غَيرُ مخلوقٍ عندَهم.

٢- كلامٌ بحَرفٍ وصَوتٍ: وهو القُرآنُ الموجودُ في الصُّحُفِ عندَنا، وهو مخلوقٌ عندَهم.

فعِندما تَسمعُ الأَشعريَّ يقولُ لك: «كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ» فإنَّما يُريدُ بِهِ الكلامَ النَّفسيَّ لا الكلامَ الموجودَ في الصُّحُفِ، وإنَّما لا يُفصِّلُ لكَ هذا الأَمرَ ويَتجنَّبُ ذلكَ حتَّى لا يُعارِضَ عَقيدةَ العَوامِّ بهذِهِ العَقيدةِ الفاسِدةِ، لأنَّ العَوامَّ كُلَّهم على الفِطرةِ وعلى العَقيدةِ الصَّحيحةِ السَّليمةِ، فهُم يَعتقِدونَ بأَنَّ اللهَ يَتكلَّمُ بحَرفٍ وصَوتٍ، وقد سَمِعَ جِبريلُ كلامَ اللهِ مِن اللهِ مُباشَرةً، فأَبلَغَ محمَّدًا ﷺ ما قالَه سبحانهُ.

أمَّا الأَشعريُّ فهُو لا يُؤمِنُ بهذا، فيَقولُ كَلِمةً بَينَ البَينَين تُحتَمَلُ عندَهُ على مَذهَبِه، وهو أنَّهُ يَقصِدُ بذلكَ الكلامَ النَّفسيَّ، لا الموجودَ بينَ الصُّحُفِ، وأهلُ السُّنَّةِ يُؤمِنونَ بأنَّ الموجودَ بينَ الصُّحُفِ هو كلامُ اللهِ، بحَرفٍ وصَوتٍ.

فإن قالَ قائلٌ: «ما مَعنى بحَرفٍ وصَوتٍ؟» فأقولُ:

بحَرفٍ وصَوتٍ = أي حُروفٍ تُتلى، وصَوتٍ يُسمَع. فالكلامُ عندَ جميعِ عُقلاءِ بَني آدَمَ لا يَكونُ إلَّا بحَرفٍ وصَوتٍ، فقد قالَ الإمامُ الأَصبهانيُّ: «وقد أَجمَع أهلُ العَرَبيَّةِ أنَّ ما عَدا الحُروفَ والأَصواتَ ليسَ بكَلامٍ حَقيقةً» .[1]

فإن كانَ الكلامُ بغيرِ حَرفٍ كان صَوتًا فقط، وإن كانَ بغيرِ صَوتٍ لم يَكُن للحَرفِ مَخرَجٌ ولا معنًى. فالحَرفُ لا يَكونُ حَرفًا إلَّا بالصَّوتِ، وإلَّا بَقيَ معنًى قائِمٌ بالنَّفسِ لم يَخرُجْ ولم يَتكلَّمْ بهِ صاحِبُه. فالكلامُ لا يَكونُ إلَّا بجُملةٍ مُفيدةٍ مِن حُروفٍ مُركَّبةٍ مَسموعةٍ. فَناتجُ الكلامِ أن يَكونَ بحَرفٍ وصَوتٍ.

والدَّلائلُ على هذا مِن القُرآنِ والسُّنَّةِ وكلامِ السَّلَفِ كثيرةٌ، وسأَذكُرُ شيئًا منها:

أمَّا مِن القُرآنِ: فقَد قالَ اللهُ جلَّ جلالُه: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾. وقالَ جلَّ جلالُه: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾. وقالَ جلَّ جلالُه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾. وقالَ جلَّ جلالُه: ﴿وَإِذْ قَالَ

[1].[الحُجَّة في بَيانِ المَحجَّة]

اللهُ يا عيسى ابنَ مَريَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنّاسِ اتَّخِذوني وَأُمِّيَ إِلٰهَينِ مِن دونِ اللهِ قالَ سُبحانَكَ ما يَكونُ لي أَن أَقولَ ما لَيسَ لي بِحَقٍّ﴾. وقالَ جلَّ جلالُه: ﴿وَإِذ قالَ إِبراهيمُ رَبِّ أَرِني كَيفَ تُحيِي المَوتىٰ قالَ أَوَلَم تُؤمِن قالَ بَلىٰ وَلٰكِن لِيَطمَئِنَّ قَلبي قالَ فَخُذ أَربَعَةً مِنَ الطَّيرِ فَصُرهُنَّ إِلَيكَ ثُمَّ اجعَل عَلىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنهُنَّ جُزءًا ثُمَّ ادعُهُنَّ يَأتينَكَ سَعيًا﴾. وقالَ جلَّ جلالُه: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلّا وَحيًا أَو مِن وَراءِ حِجابٍ أَو يُرسِلَ رَسولًا فَيوحِيَ بِإِذنِهِ ما يَشاءُ﴾. وقالَ جلَّ جلالُه: ﴿نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ بِما أَوحَينا إِلَيكَ هٰذا القُرآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبلِهِ لَمِنَ الغافِلينَ﴾. وقالَ جلَّ جلالُه: ﴿وَإِذ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنّي جاعِلٌ فِي الأَرضِ خَليفَةً قالوا أَتَجعَلُ فيها مَن يُفسِدُ فيها وَيَسفِكُ الدِّماءَ وَنَحنُ نُسَبِّحُ بِحَمدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنّي أَعلَمُ ما لا تَعلَمونَ﴾.

وغَيرُها الكثيرُ مِن الآياتِ الَّتي لا يَحتَمِلُ المَقامُ إلى ذِكرِها كُلِّها، إذ إنَّ القُرآنَ مليءٌ بالآياتِ الَّتي تَدُلُّ بدَلالةٍ ظاهِرةٍ على أنَّ اللهَ يَتكلَّمُ، وهذهِ الآياتُ إنَّما تَدُلُّ بشكلٍ واضِحٍ وصَريحٍ على أنَّ اللهَ يُخاطِبُ خَلقَهُ خِطابًا مَفهومًا: مِنهُا ما كانَ بينَ اللهِ جلَّ جلالُه وموسى، ومَا بينَ اللهِ جلَّ جلالُه وعيسى، ومَا بينَ اللهِ جلَّ جلالُه والمَلائِكة، وهؤلاءِ لا يُمكنُ أن يُخاطَبوا إلَّا بكلامٍ مَسموعٍ مَفهومٍ، ولا يُمكنُ أن يكونَ مَسموعًا إلَّا بصَوتٍ، ولا يُمكنُ أن يكونَ

مَفهومًا إلَّا أن يكونَ الكلامُ جُملةً كامِلَةً مِن حُروفٍ تُفهَم. وهذا ما يَدُلُّ عليهِ قولُ اللهِ جلَّ جلالُه: ﴿حَتَّىٰ يَسمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾، أي يَسمعُه ويَعقِلُه.

فكَيْفَ سَيَسمَعُ كلامَ اللهِ دونَ أن يكونَ الكلامُ مَسموعًا؟ وكيفَ سيكونُ مَسموعًا إن لم يَكن بصَوتٍ؟ وإن كانَ بصَوتٍ وسَمِعَهُ فكيفَ سَيَفهَمهُ ويَعقِلَهُ إن لم يَكن بحُروفٍ مَفهومةٍ تُكوِّنُ جُملةً مُفيدةً يَفهَمُها المُخاطَبُ؟ هذهِ كُلُّها مِن البَدَيهيَّاتِ العَقلِيَّةِ المُسلَّمَةِ الَّتي أَفسَدَها عِلمُ الكلامِ الفَلسَفيُّ -لعَنَ اللهُ مُؤسِّسَه-.

وأما من السُّنَّة، فيقولُ النَّبيُّ ﷺ: "يَحشُرُ اللهُ العبادَ أو قال يَحشُرُ اللهُ الناسَ قال وأَوْمَى بيدِه إلى الشامِ عُراةً غُرْلًا بُهْمًا قال قلتُ ما بُهْمًا قال ليس معهم شيءٌ فينادِي بصوتٍ يسمعُه من بَعُدَ كما يسمعُه من قَرُبَ أنَا المَلِكُ أنَا الدَّيَّانُ".[1]

ويقولُ: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ."[2]

---

[1][تخريج كتاب السنة]

[2][سنن الترمذي]

ويقولُ: "أَلَا رجلٌ يَحْمِلُنِي إلى قَوْمِهِ، فإنَّ قُرَيْشًا قد مَنَعُونِي أنْ أُبَلِّغَ كَلامَ ربِّي." [1]

ويقول: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هرولة."

ويقولُ: "إذا قَضَى اللَّهُ الأمْرَ في السَّماءِ، ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بأَجْنِحَتِها خُضْعانًا لِقَوْلِهِ كالسِّلْسِلَةِ علَى صَفْوانٍ". [2]

ويقولُ: "إذا تكلَّمَ اللهُ بالوحيِ سمِعَ أهلُ السَّماءِ الدُّنيا صلصلةً كجرِّ السِّلسلةِ على الصَّفا، فيُصعَقونَ، فلا يزالونَ كذلكَ حتَّى يأتيَهُم جبريلُ، حتَّى إذا جاءَهُم جبريلُ، فُزِّعَ عَن قلوبِهِم فيقولونَ: يا جبريلُ ماذا قالَ ربُّكَ؟ فيقولُ الحقَّ، فيقولونَ: الحقَّ الحقَّ." [3]

---

[1] [سنن الترمذي]

[2] [صحيح البخاري]

[3] [صحيح الجامع]

ويقولُ: "إنَّ هذه الصلاةَ لا يَصلُحُ فيها شيءٌ من كلامِ النَّاسِ، إنما هو التَّسبيح والتَّكبيرُ وقراءةُ القرآنِ."

ويقول: "مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ." [1]

ويقولُ: "أفلَا أبشِّرُكَ بما لقيَ اللهُ بِهِ أباكَ ؟ قلتُ: بلَى يا رسولَ اللهِ، قالَ: ما كلَّمَ اللهُ أحدًا قطُّ إلَّا من وراءِ حجابِهِ وأحيى أباكَ فَكَلَّمَهُ كِفاحًا، فقالَ: يا عَبدي، تَمنَّ عليَّ أُعْطِكَ، قالَ: يا ربِّ تُحيِيني فأقتلَ فيكَ ثانيةً، قالَ الرَّبُّ تبارك وتعالَى: إنَّهُ قد سبقَ منِّي أنَّهم إليها لَا يُرجَعونَ، قالَ: وأُنْزِلَت هذِهِ الآيةُ: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا) الآيةَ." [2]

ويقول: "يَقُولُ اللهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ." [3]

---

[1] [صحيح الجامع]

[2] [صحيح الترمذي]

[3] [صحيح البخاري]

فهذه الأحاديثُ -وغيرُها- ممَّا تلقَّتها الأمَّةُ بالقبولِ دونَ تحريفٍ أو تأويلٍ، تُثبتُ أنَّ الله يتكلَّمُ بحرفٍ وصوت، فتسمعُ الملائكةُ كلامَه فيصعقونَ من صوته جلَّ جلاله، بل ويذكرُ اللهُ الذي يذكرهُ في مَلإٍ كريم، ويُفصِّلُ النبيُّ ﷺ أنَّ كلامَ الله بحرفٍ فيقول: «ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ». فسبحانَ الله! كيف يمكنُ أن يعتقدَ هذا الرجلُ عقيدةً وينشرَها بين الناس وهي تُخالفُ الكتابَ والسُّنَّةَ مخالفةً صريحة، بل وتخالفُ فطرةَ الناسِ التي فطرهم اللهُ عليها؟

وأمَّا من كلامِ السَّلف ومن تبعهم من أعلامِ أهل السُّنَّة فقد قال ابنُ عبَّاس: «لَمَّا كلَّم اللهُ موسى، كان النداءُ في السماء، وكان اللهُ في السماء».[1] فقد صرَّح ابنُ عبَّاس أنَّ الله كلَّم موسى عليه السَّلام، وكان من تكليمه إيَّاه مناداته، والنداءُ عند العقلاء معروفٌ أنَّه بحرفٍ وصوت.

وقال عبدُ الله بن أحمد: «سألتُ أبي – رحمه الله – عن قومٍ يقولون: لَمَّا كلَّم اللهُ عز وجل موسى لم يتكلَّم بصوتٍ، فقال أبي: بلى إنَّ ربَّك عز وجل تكلَّم بصوتٍ، هذه الأحاديثُ نرويها كما جاءت».

---

[1] [خلق أفعال العباد]

وقال: «وقال أبي رحمه الله: حديثُ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: إذا تكلم اللهُ عز وجل سُمِعَ له صوتٌ كجرِّ السلسلةِ على الصَّفوان. قال أبي: وهذا الجهميةُ تنكرُه...».

وقال: «قلتُ لأبي: إنَّ ههنا من يقول: إنَّ الله لا يتكلَّم بصوتٍ، فقال: يا بنيَّ هؤلاء جهميَّة زنادقة، إنما يدورون على التعطيل». [1]

وقال يعقوب بن بختان: «سُئل أبو عبد الله عمَّن زعم أنَّ الله عز وجل لم يتكلَّم بصوت؟ قال: بلى يتكلم سبحانه بصوت». [2]

وقال البربهاريُّ: «والإيمانُ بأنَّ الله هو الذي كلَّم موسى بن عمران يوم الطور، وموسى يسمعُ من الله الكلامَ بصوتٍ وقع في مسامعه منه لا من غيره، فمن قال غير هذا فقد كفر بالله العظيم». [3]

[1] [السنة لعبد الله]

[2] [طبقات الحنابلة]

[3] [شرح السنة]

وقال محمَّدُ بن كعبٍ: «قالت بنو إسرائيلَ لموسى عليه السَّلام: بِمَا شبَّهتَ صوتَ ربِّك جلَّ جلاله حين كلَّمك من هذا الخلق؟ قال: شبَّهتُ صوتَه بصوت الرعدِ حين لا يترجَّع». [1]

وقال أبو بكر المَرُّوذي: «قيلَ لأبي عبد الله – يعني أحمدَ بن حنبل –: هاهنا كلامٌ في رقعة، تكلَّم به عبد الوهَّاب، وعرضنا ما عليه، وقرئت عليه: من زعم أنَّ كلامَ الله بلا صوتٍ فهو جهمي، عدوٌّ لله تبارك وتعالى...». [2]

وقال السِّجزي: «وهذه القضيَّة توجب أن يكون كلامُه حرفًا وصوتًا... وكلامُه سبحانه بلا أداةٍ ولا آلةٍ ولا جارحة، وكلامُ المحدث لا يوجد إلا عن أداةٍ وآلةٍ وجارحةٍ في المعتاد».

---

[1][السُّنَّة لعبد الله]

[2][صفات رب العالمين]

وقال: «وأما الصوت فقد زعموا أنَّه لا يخرج إلا من هواءٍ بين جُرمين، وذلك لا يجوز وجوده من ذات الله تعالى، والذي قالوه باطل من وجوه...»[1].

وقال قوَّامُ السُّنَّة الأَصبهانيُّ: (ومن الدليلِ على ما قلناه قولُه تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾، والمسموعُ إنما هو الحرفُ والصوتُ لا المعنى، لأن العرب تقول: "سمعتُ الكلامَ وفهمتُ المعنى"، ولا تقول: "سمعتُ المعنى". فلمَّا قال: – حتَّى يسمع – دلَّ على أنَّه الحرفُ والصوت...)[2].

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة: «واستفاضت الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعينَ ومن بعدهم من أئمة السُّنَّة أنَّه سبحانه ينادي بصوتٍ، نادى موسى، وينادي عباده يوم القيامة بصوتٍ، ويتكلم بالوحي بصوتٍ، ولم يُنقل عن أحدٍ من السلف أنَّه قال: إنَّ الله يتكلم بلا صوتٍ أو بلا حرفٍ، ولا أنَّه أنكر أنَّ الله يتكلم بصوتٍ أو بحرفٍ»[3].

---

[1] [رسالة الحرف والصوت]

[2] [الحُجَّة في بيان المحجَّة]

[3] [مجموع الرسائل والمسائل]

وقال ابنُ المحبِّ الصامت: «ومن اعتقادِ السَّلف في كلامِ الله تعالى أنَّه بصوت، وقد قامت الدلائلُ القواطعُ على إثباته، وهو كسائرِ صفاته تعالى».

وقال: «وجمهورُ المسلمين يقولون: إنَّ القرآن العربيَّ كلامُ الله، وقد تكلَّم اللهُ به بحرفٍ وصوتٍ...». [1]

وقال الإمام عبد الغني المقدسي: «وقول القائل: بأن الحرف والصوت لا يكون إلا من مخارج، باطل ومحال... وقصارى القول: إنَّ السلف يرون أنَّ الله تعالى يتكلم بصوتٍ يُسمع، كما دلَّت على ذلك الأدلةُ القاطعةُ من الكتاب والسنة، وأنَّ صوته لا يشبه أصواتَ خلقه كما أنَّ ذاته لا تشبه ذواتهم، وأنَّ سائرَ كلام الله تعالى ليس هو الحروف فقط ولا المعاني». [2]

وغير هذه النُّقولات كثير، فإنَّ أهلَ السُّنَّة والجماعة يُثبتون كلامَ الله جلَّ جلاله، وهو بحرفٍ وصوت، كلامٌ يُسمع ويُتلى، وأمَّا قولُ مشهور فواز فهو قولُ الأشاعرة، الذين

---

[1] [صفات رب العالمين]

[2] [الاقتصاد في الاعتقاد]

يقولون: "إنَّ كلام الله الموجودَ في الصُّحفَ مخلوقٌ"، وهذَا كفرٌ باتِّفاق السَّلف، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.



أينَ ربُّك يَا مشهور؟!

قال مشهور فوَّاز: "طيب، أين الله؟ أين الله؟ إذَا أردتَ بسؤالِكَ أين الله، يعني أين مكان الله، فهذا سؤالٌ لا يجوزُ بحقِّ الله، إذا سألتَ، إذا قصدتَ بسؤالك أين الله، أي أين مكان الله؟ فهذا سؤالٌ لا يجوزُ بحقِّ الله، ممنوع... أين الله؟ هذا سؤالٌ لا يجوز بحقِّ الله، إذا أردت بذلك سؤال المكان، إذا قلتَ: أين الله، وأردت بذلك المكان؟ فأعوذُ بالله من ذلك! أعوذ بالله من ذلك... وإذا قلتَ: أينَ الله، وأردتَ بذلك المكانة، أين مكانة الله؟ فهذا السُّؤال هو الذي سألهُ النَّبيُّ ﷺ للجارية، لَمَّا قال لها: أين الله؟ قصد أين مكانة الله، أين مكانة الله، قالت: في السَّماء، في السَّماء معناها ليسَ... هذا مجازٌ في اللُّغة العربيَّة، في السَّماء معناها كناية عن العلوِّ والعظمة... لا يجوز أن نأخذ الأمر على ظاهره ونقول: اللهُ بنفسه في السَّماء، لا يجوز أن يُقال: الله بنفسِهِ في السَّماء، هذا لا يجوزُ شرعًا، لأنَّ الله سبحانه وتعالى لا يحدُّه مكان ولا زمان، فماذا نقول؟ نقول: اللهُ كان، ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، لم يتبدَّل عمَّا كان... قيل للإمام عليٍّ: يا علي، صِفْ لنا ربَّك، قال: سبحان ربِّي! لا يُدرَكُ بالحواس، ولا يُقاسُ بالنَّاس، فوقَ كلِّ شيء، وليس تحتهُ شيء، وهو في كلِّ شيء، لا كشيءٍ في شيء، ليس كمثلهِ شيء، وهو السَّميع البصير... فإذًا خلاصة الحديث، الذي أريدك أن تعتقدهُ فافهمني، أنَّ الله تعالى حاشاه أن يكون له جهة معينة، حاشاه أن يكون

بنفسهِ في السَّماء، طيِّب الآيات التي جاءت أنَّ الله في السَّماء والأحاديث؟ هذه كلها متأوَّلة، لبيانِ عظمةِ الله سبحانه وتعالى، وليسَت أنَّ الله بنفسِهِ في السَّماء، انتبه، إيَّاك أن تخوضَ بذلك، إياك أن تقول أنَّ الله بنفسه في السَّماء، هذا مرفوضٌ... لا يجوز أنِّي أصلًا... أصلًا الكلُّ متَّفق، الكلُّ مُجمِع، أنَّ الله تعالى ليس له مكان، هذا بالإجماع... إيَّاك أن تعتقد أنَّ الله بنفسه في السَّماء، دير بالك، طب نرجع إلى السُّؤال: طب أين الله؟ ماذا نقول؟ اللهُ كان ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، ما خطر على بالك، فالله خلاف ذلك، الله منزَّهٌ عن الجهات، منزَّهٌ عن المكان، آه؟ ما خطرَ على بالك، فاللهُ خلاف ذلك، ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهو السَّميعُ البصير، ما بصير تسأل سؤال مكاني: أين الله؟ اللهُ منزَّهٌ عن المكان، منزَّهٌ عن المكان، اللهُ كان ولا مكان، وهو الآنَ على ما عليه كان، نقطة، تعالى الله عمَّا تصفون."[1]

هذَا كلامهُ بحرفهِ، نُلخِّصهُ في نقاط ليسهل فهمهُ:

١- النُّقطة الأُولى: يزعُمُ مشهور فوّاز أنَّ سؤالَ المسلم: "أينَ الله؟" لا يجوزُ في حقِّ الله.

38:16–36:02 / 24:45–23:44 / 30:10 – 27:55–1

٢- النُّقطة الثَّانية: يزعُمُ مشهور فوَّاز أنَّ اللهَ سبحانهُ وتعالى لا يكونُ في السَّماء، وهو منزَّهٌ عن المكان والجهة، فلا يحدُّه مكانٌ ولا زمان.

٣- النُّقطة الثَّالثة: يزعُمُ مشهور فوَّاز أنَّ سؤالَ الجارية ليسَ على ظاهرِه، فهي لا تسألُ عن مكانِ الله، بل عن مكانتِه.

٤- النُّقطة الرَّابعة: يزعُمُ مشهور فوَّاز أنَّ الصَّحابيَّ الجليل عليًّا رضيَ اللهُ عنه كان يعتقِدُ أنَّهُ ليس لله مكان.

٥- النُّقطة الخامسة: يزعُمُ مشهور فوَّاز أنَّ كلَّ الآيات والأحاديثِ التي وردت في إثباتِ مكانِ الله، كلُّها مُتأوَّلة، وليست على ظاهرِها.

~ الجوابُ عن النُّقطةِ الأُولى:

أمَّا الجواب عن النُّقطة الأولى: فهذا قولٌ باطلٌ مردودٌ عليه، لأنَّ أعلمَ الخلقِ وأطهرَهم رسولُ الله ﷺ قد سأل هذا السُّؤال! فقد رَوَى مسلمٌ في صحيحه، ومالكٌ في موطَّئه، والشافعيُّ في كتابه الأمِّ عن معاويةَ بن الحكمِ السُّلَميِّ قال: «... وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: ائْتِنِي بِهَا، فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ اللهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ.».[1]

فقد سألَ النبي ﷺ الجاريةَ الأمِّيَّة الأعجمية، فقال لها: «أين الله؟»، فلمَّا أجابت بأنَّه في السَّماء -وهي إجابةٌ يعرفها كلُّ مسلمٍ بالفطرة- شَهِدَ لها النَّبيُّ ﷺ بالإيمان.

---

[1] – لا مطعنَ في هذا الحديث أبدًا، فهو صحيحٌ مقبولٌ مشهورٌ، وليُرَاجعْ بحثَ الشَّيخ سعد الشَّيخ الذي سمَّاه "إعلاءُ حديثِ الجاريةِ" في الجوابِ عن بعضِ الاعتراضاتِ التي اعترُضَت عليه.

وهنا قرن النَّبيُّ ﷺ معرفةَ مكان الله جلَّ جلاله بالإيمان برسالته ﷺ، أي: إنَّ من لا يُقرُّ بأنَّ الله جلَّ جلاله في السماء، كمن لا يُقرُّ برسالة النبي ﷺ، ولا يصلُح أن يسأل النَّبيُّ ﷺ سؤالين متتابعين مقترنين، ثمَّ يشهد لها بالإيمان بعد أن أجابت عنهما، إلَّا إن كان السُّؤالان في صلب العقيدة.

وقد قال شيخ الإسلام أبو عثمان الصَّابونيُّ: "وإمامُنا أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه احتجَّ في كتابه المبسوط في مسألة إعتاق الرَّقبة المؤمنة في الكفَّارة، وأنَّ غير المؤمنة لا يصحُّ التكفير بها، بخبر معاوية بن الحكم رضي الله عنه... وأنَّه أراد أن يعتق الجارية السوداء لكفَّارة، وسأل رسول الله ﷺ عن إعتاقه إياها، فامتحنها رسول الله ﷺ، فقال لها: (من أنا؟) فأشارت إليه وإلى السماء، تعني: أنك رسول الله الذي في السماء، فقال ﷺ: (أعتقها؛ فإنها مؤمنة). فحكم رسول الله ﷺ بإسلامها وإيمانها، لما أقرت بأن ربها في السماء، وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية. وإنما احتجَّ الشافعي رحمه الله على المخالفين بهذا الخبر، لاعتقاده أن الله سبحانه فوق خلقه، وفوق سبع سماواته على عرشه، كما هو معتقد المسلمين من أهل السنة والجماعة سلفهم وخلفهم؛ إذ كان رحمه الله لا يروي خبرًا صحيحًا ثم لا يقول به." [1]

[1] [عقيدة السلف وأصحاب الحديث]

وقال الحافظُ أبو طاهر المقدسيُّ: "وإنما غلَّظ هذا التغليظ -يقصد ابن خزيمة- بشهادةِ النَّبيِّ لها بالإيمان إذ اعتقدت أن الله في السماء، فمن أنكر ذلك يكون مخالفًا لنصِّ القرآن والسُّنَّة الصحيحة، ومَن خالفهما خرج عن الإيمان." [1]

فسؤال «أين الله؟» ثابتٌ عن النبيِّ ﷺ بلا خلاف عند أهل السنة، فكيف يزعم هذا أنَّهُ لا يجوز أن نقول: «أين الله»؟ وهل ارتكبَ النَّبيُّ ﷺ محرَّمًا بقوله ذلك؟ وهل ارتكب الصَّحابة مُحرَّمًا عند مشهورٍ عندما سألوا ذلك؟

فقد روي التِّرمذيُّ في سننهِ عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ، عَنْ عَمِّهِ أَبِي رَزِينٍ، قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟ قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَخَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى المَاءِ» قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ: قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ: «العَمَاءُ: أَيْ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ»).

[1] [الحجة على تارك المحجة]

فسؤالُ الصَّحابي هنا بـ«أين» يدلُّ على أن لله مكانًا، وأنه أراد أن يعرف مكانه جلَّ جلاله، فإن «الأين» لا تُستعمل في لغة العرب إلا في المكان.

وَروى الطَّبرانيُّ في المعجمِ الكَبير: "...حَدَّثنا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، قَالَ: مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِرَاعِي غَنَمٍ فَقَالَ: يَا رَاعِيَ الْغَنَمِ هَلْ مِنْ جَزْرَةٍ؟ قَالَ الرَّاعِي: لَيْسَ هَا هُنَا رَبُّهَا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَقُولُ: أَكَلَهَا الذِّئْبُ، فَرَفَعُ الرَّاعِي رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: فَأَيْنَ اللهُ؟ فَاشْتَرَى ابْنُ عُمَرَ الرَّاعِي وَاشْتَرَى الْغَنَمَ فَأَعْتَقَهُ، وَأَعْطَاهُ الْغَنَمَ."، وقد أقرَّ ابن عمر الراعي على كلامه، فلو كان كلامه خاطئًا محرَّمًا لأنكر عليه، لكنَّه أقرَّه، واشتراه لدينه وورعه وأمانته، وكان الأولى عند مشهور أن يزجرهُ عن مقالته تلك!

قال الإمامُ الدارميُّ وهو يردُّ على المريسيِّ الجهميِّ: "وَأَمَّا قَوْلُكَ: لَا يُوصَفُ بِأَيْنَ فَهَذَا أَصْلُ كلام جَهْمٍ وَهُوَ خِلَافُ مَا قَالَ اللهُ جلَّ جلاله وَرَسُولُهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنُونَ، لِأَنَّ الله تَعَالَى قَالَ: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾، وَقَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾، وَقَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، فقد أخبرنَا اللهُ الْعِبَادَ أَيْنَ اللهُ وَأَيْنَ مَكَانُهُ، وَأَيَّنَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ فَقَالَ: «مَنْ لَمْ يَرْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ لَمْ يَرْحَمْهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ» وعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ»، فَلَوْ لَمْ يُوصَفْ بِأَيْنَ كَمَا ادَّعَيْتَ

أَيُّهَا الْمُعَارِضُ، لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِلْجَارِيَةِ «أَيْنَ اللَّهُ» فَيُغَالِطُهَا فِي شَيْءٍ لَا يُؤَيَّنُ، وَحِينَ قَالَتْ «هُوَ فِي السَّمَاءِ» لَوْ قَدْ أَخْطَأَتْ فِيهِ لَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهَا وَعَلَّمَهَا، وَلَكِنَّهُ اسْتَدَلَّ عَلَى إِيمَانِهَا بِمَعْرِفَتِهَا أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ وَكَذَلِكَ رُوِيَ لَنَا عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فقيل: «قِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ بِأَيِّ شَيْءٍ نَعْرِفُ رَبَّنَا؟ قَالَ: بِأَنَّهُ فِي السَّمَاءِ عَلَى الْعَرْشِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، قُلْتُ: بِحَدٍّ؟ قَالَ: بِحَدٍّ»، فَهَذَا الْقُرْآنُ يَنْطِقُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُوصَفُ بِأَيْنَ، وَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ وَصَفَهُ، وَعَلَيْهِ دَرَجَ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَمَنْ أَنْبَأَكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ أَنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِأَيْنَ؟ أَخْبِرْنَا بِهِ وَإِلَّا فَأَنْتَ الْمُفْتَرِي عَلَى اللَّهِ، الْجَاهِلُ بِهِ وبمكانه."[1]، فلله دَرُّ هذا الإمام الجبل، وكأنَّه يردُّ على مشهور!

[1][نقض الدارمي]

~ الجوابُ عن النُّقطة الثَّانية:

وأمَّا الجواب عن النُّقطة الثانية: فيكون من وَجْهَيْنِ:

الوَجْهُ الأَوَّلُ: قَد صَحَّتْ أَدِلَّةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ القُرْآنِ، وَمِنَ السُّنَّةِ، وَمِن كَلَامِ السَّلَفِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللهَ بِنَفْسِهِ فِي السَّمَاءِ، أَذْكُرُ بَعْضَهَا:

يَقُولُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾، قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ: «﴿أَأَمِنتُمْ﴾ عُقُوبَةَ ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ يَعْنِي: الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَفْسُهُ؛ لِأَنَّهُ فِي السَّمَاءِ العُلْيَا.» [1]

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟" [2]

---

[1][تفسير مقاتل بن سليمان]

[2][صحيح مسلم]

وَعَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَبُو بَكْرٍ فِي نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ...، ثُمَّ أَتَى الْمِنْبَرَ فَصَعِدَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ إِلَهُكُمُ الَّذِي تَعْبُدُونَ فَإِنَّ إِلَهَكُمْ قَدْ مَاتَ، وَإِنْ كَانَ إِلَهُكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، فَإِنَّ إِلَهَكُمْ لَمْ يَمُتْ.»

[1]

وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى، كَانَ النِّدَاءُ فِي السَّمَاءِ، وَكَانَ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ».[2]

وقَال ابنَ أَبِي زَمنين: "وَهَذَا اَلْحَدِيثُ -يقصُد حديث النُّزول- بَيَّنَ أَنَّ اَللَّهَ عز وجل عَلَى عَرْشِهِ فِي اَلسَّمَاءِ دُونَ اَلْأَرْضِ، وَهُوَ أَيْضًا بَيِّنٌ فِي كِتَابِ اَللَّهِ، وَفِي غَيْرِ مَا حَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ."[3]

قَالَ اَللَّهُ عز وجل: يُدَبِّرُ اَلْأَمْرَ مِنَ اَلسَّمَاءِ إِلَى اَلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ وَقَالَ: أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي اَلسَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ اَلْأَرْضَ وَقَالَ: أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي اَلسَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا وَقَالَ: إِلَيْهِ يَصْعَدُ اَلْكَلِمُ اَلطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ اَلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ

---

[1] [مصنف ابن أبي شيبة]

[2] [خلق أفعال العباد]

[3] [أصول السُّنَّة]

وَقَالَ: وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَقَالَ لِعِيسَى: إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَقَالَ: بَلْ رَفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ." [1]

وعن ابنِ أبي زيدٍ القيروانيِّ قَال: "وَسِعَ كرْسِيُّه السَّموات والأرض، ولا يؤُودُه حفظُهما وهو العليُّ العَظيمُ، العالِمُ الخبيرُ، المُدَبِّرُ القَدِيرُ، السَّمِيعُ البصيرُ، العَلِيُّ الكَبيرُ، وَأنَّه فوقَ عَرشه المجيد بذاته، وهو في كلِّ مَكان بعِلمه." [2]

وقَال: "فِيمَا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الأُمَّةُ مِنْ أُمُورِ الدِّيَانَةِ، وَمِنْ السُّنَنِ التِي خِلَافُهَا بِدْعَةً وَضَلَالَةً...، وأَنَّهُ فَوْقَ سَمَاوَاته عَلَى عَرْشِهِ دُونَ أَرْضِهِ، وَأَنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ". [3]

الوَجْهُ الثَّانِي: قَوْلُهُ: "إنَّ اللهَّ تَعَالَى لا يَحُدُّهُ زَمَانٌ وَلا مَكَانٌ" هُوَ قَوْلٌ مُجْمَلٌ، فَمَا الَّذِي يَقْصِدُهُ بِالزَّمَانِ وَالمَكَانِ؟

---

[1] [أصول السنة]

[2] [الرسالة]

[3] [الجامع في السُّنن والآدابِ والمغازي]

إِنَّ المَكَانَ الَّذِي يَثْبُتُهُ أَهْلُ السُّنَّةِ هُوَ ذَاتُ وُجُودِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ المُتعَلِّقُ بِهِ، وَهُوَ المَقْصُودُ مِن قَوْلِنَا: "مَكَانُ اللهَّ فَوْقَ عَرْشِهِ." فَإِنْ قُلْنَا: "اللهَّ فِي مَكَانٍ، وَمَكَانُهُ فَوْقَ العَرْشِ"، أَي: أَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَهُوَ الآنَ مَوْجُودٌ فَوْقَ العَرْشِ، لأَنَّهُ لا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ اللهَّ مَوْجُودًا فِي غَيْرِ مَكَانٍ.

وأَمَّا المَكَانُ الَّذِي يَنْفِيهِ أَهْلُ البِدَعِ عَنْ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ، فَهُوَ عِبَارَةٌ -بِشَكْلٍ تَقْرِيبِيٍّ- عَنْ مُرَبَّعٍ أَو دَائِرَةٍ حَقِيقِيَّةٍ مَوْجُودَةٍ فِي الخَارِجِ تُحِيطُ بِاللهَّ عَزَّ وَجَلَّ وَتَحُدُّهُ، فَهُمْ يَعُدُّونَ المَكَانَ شَيْئًا حَقِيقِيًّا لا ذِهْنِيًّا مَوْجُودًا فِي الخَارِجِ، وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ: "إِنْ قُلْنَا أَنَّ اللهَّ فِي مَكَانٍ، لَزِمَ مِن ذَلِكَ أَنَّ اللهَّ مَحْدُودٌ مُحَاطٌ بِهِ دَاخِلَ هَذَا المُرَبَّعِ أَو الدَّائِرَةِ، وَطَالَمَا أَنَّ هَذَا اللاَّزِمَ لا يَلِيقُ بِاللهَّ عَزَّ وَجَلَّ فَلا يَحِقُّ لَنَا أَنْ نُثْبِتَ لَهُ مَكَانًا، لا فَوْقَ العَرْشِ وَلا غَيْرِهِ."

وَقَوْلُهُم هَذَا لَمْ يَقُل بِهِ أَحَدٌ مِن أَهْلِ السُّنَّةِ، فَمَنْ قَالَ مِن أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ قَوْلَنَا: "اللهَّ فِي مَكَانٍ"، بِمَعْنَى أَنَّ المَكَانَ شَيْءٌ حَقِيقِيٌّ مَوْجُودٌ كالدَّائِرَةِ أَو المُرَبَّعِ وَهُوَ يُحِيطُ بِهِ وَيَحُدُّهُ سُبْحَانَهُ؟ هَذَا لَمْ يَقُل بِهِ أَحَدٌ إِطْلَاقًا مِن أَهْلِ السُّنَّةِ!

قَال شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة رحمهُ الله: فَإِنْ قِيلَ: هُوَ فِي مَكَانٍ بِمَعْنَى إِحَاطَةِ غَيْرِهِ بِهِ وَافْتِقَارِهِ إِلَى غَيْرِهِ. فَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى الْغَيْرِ وَإِحَاطَةِ الْغَيْرِ بِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَإِنْ أُرِيدَ بِالْمَكَانِ مَا فَوْقَ الْعَالَمِ وَمَا هُوَ الرَّبُّ فَوْقَهُ؛ قِيلَ: إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا خَالِقٌ أَوْ مَخْلُوقٌ، وَالْخَالِقُ بَائِنٌ مِنَ الْمَخْلُوقِ، كَانَ هُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ. وَإِذَا قَالَ الْقَائِلُ: هُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ؛ فَهَذَا الْمَعْنَى حَقٌّ سَوَاءً: سَمَّيْتَ ذَلِكَ مَكَانًا أَوْ لَمْ تُسَمِّهِ." [1]

فَأَهْلُ السُّنَّةِ إِذَا أَثْبَتُوا المَكَانَ، فَإِنَّمَا يُثْبِتُونَهُ تَبَعًا لِلنُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي جَاءَتْ فِي إِثْبَاتِ هَذَا للهِ عَزَّ وَجَلَّ، دُونَ أَنْ يُحَكِّمُوا الفَلْسَفَةَ وَعِلْمَ الكَلَامِ عَلَى نُصُوصِ الشَّرِيعَةِ، لِأَنَّ مَصْدَرَهُمْ الوَحْيُ لا غَيْرَهُ، وَطَالَمَا أَنَّ الوَحْيَ قَدْ جَاءَ بِهَذَا اللَّفْظِ = نُثْبِتُهُ وَلا نُبَالِي.

وَالْقَاعِدَةُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي إِثْبَاتِ صِفَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ هِيَ: إِثْبَاتُهَا كَمَا جَاءَتْ عَلَى الوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ سُبْحَانَهُ دُونَ تَحْرِيفٍ وَتَعْطِيلٍ أَو تَكْيِيفٍ وَتَمْثِيلٍ، وَدُونَ اعْتِبَارٍ لِقَوْلِ المُشَنِّعِينَ وَالمُسْتَنْكِرِينَ.

---

[1] [منهاج السنة النبوية]

قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ: "وَلَا نَزِيلُ عَنْ رَبِّنَا صِفَةً مِن صِفَاتِهِ لِشَنَاعَةٍ شُنِّعَتْ، وَإِنْ نَبت عَنِ الأَسْمَاعِ."[1] فَإِنْ كَانَ هَذَا فِي بَابِ الصِّفَاتِ، فَهُوَ فِي بَابِ الأَلْفَاظِ وَالْمُسَمَّيَاتِ مِنْ بَابٍ أَوْلَى.

وَقَدْ تَجِدُ فِي عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ مَنْ يَنْفِي لَفظَ المَكَانِ عَنْ اللهَّ سُبْحَانَهُ، وَلَا رَيْبَ أَنَّهُمْ لا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ نَفْيَ المَكَانِ الَّذِي نُشِيرُ إِلَيْهِ -وَهُوَ عُلُوُّ اللهَّ عَلَى عَرْشِهِ وَمُبَايَنَتُهُ لِخَلْقِهِ-، وَإِنَّمَا مَرَادُهُمْ بِذَلِكَ نَفْيُ المَكَانِ الَّذِي يَقْصِدُهُ أَهْلُ البِدَعِ، وَهُوَ: أَنَّ المَكَانَ شَيْءٌ حَقِيقِيٌّ يُحِيطُ بِاللهَّ وَيَحُدُّهُ، وَاللهُّ حَالٌّ بِهِ، وَهَذَا كَمَا تَقَدَّمَ لا يُثْبِتُهُ أَحَدٌ مِن أَهْلِ السُّنَّةِ فِي حَقِّ اللهَّ أَصْلًا، وَلِذَلِكَ نَفَوْا المَكَانَ الَّذِي هُوَ فِي هَذَا المَعْنَى، وَأَمَّا المَكَانُ الَّذِي نَقْصِدُهُ نَحْنُ، وَهُوَ عُلُوُّ اللهَّ عَلَى عَرْشِهِ، فَإِنَّهُمْ يُثْبِتُونَهُ، وَإِثْبَاتُهُمْ لِعُلُوِّ اللهَّ عَلَى عَرْشِهِ هُوَ مِنْ جِنْسِ إِثْبَاتِنَا لِمَكَانِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ، فَعُلُوُّهُ عَلَى عَرْشِهِ عِنْدَنَا = مَكَانُهُ.

فَالمَكَانُ وَالزَّمَانُ لَيْسَا شَيْئَانِ حَقِيقِيَّانِ، بَلْ هُمَا شَيْئَانِ مَوْجُودَانِ فِي الذِّهْنِ، فَلَا يُوجَدُ مَخْلُوقٌ بِعَيْنِهِ اسْمُهُ مَكَانٌ تُشِيرُ إِلَيْهِ، وَلَا يُوجَدُ مَخْلُوقٌ بِعَيْنِهِ اسْمُهُ زَمَانٌ تُشِيرُ إِلَيْهِ، بَلْ هَذَانِ الشَّيئَانِ تَابِعَانِ لِأَصْلِ وُجُودِ الشَّيْءِ، أَي: يَتبَعَانِ المَوْجُودَ تَبَعًا لا اسْتِقْلَالًا، فَكُلُّ

---

[1] [الرَّدُّ عَلَى الجهمية]،

مَوْجُودٍ يَرْتَبِطُ بِهِ مَكَانٌ وَزَمَانٌ، وَنَفْيُ المَكَانِ وَالزَّمَانِ عَنِ الشَّيءِ = نَفْيٌ لِوُجُودِهِ، وَكَذَلِكَ الأَمْرُ بِخُصُوصِ وُجُودِ اللهِّ جَلَّ جَلَالُهُ، فَيَرْتَبِطُ بِهِ -أَي وُجُودُهُ- المَكَانُ وَالزَّمَانُ، وَهَذَا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ عَنْ عَمِّهِ أَبِي رَزِينٍ، قَالَ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِّ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟"[1]، فَقَوْلُ الصَّحَابِيِّ "أَيْنَ" يَدُلُّ عَلَى المَكَانِ، وَقَوْلُهُ "قَبْلَ" يَدُلُّ عَلَى الزَّمَانِ، فَالأَيْنُ تُسْتَعْمَلُ لِلْمَكَانِ، وَالقَبْلُ تُسْتَعْمَلُ لِلزَّمَانِ، نَاهِيكَ عَنِ الآيَاتِ الكَثِيرَةِ الَّتِي تُثْبِتُ أَنَّ للهِّ مَكَانًا وَزَمَانًا.[2]

وَأَمَّا إِطْلَاقُ عَدَمِ إِثْبَاتِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ للهِّ فَهَذَا مَذْهَبُ أَرِسْطُو الَّذِي وَافَقَهُ الأَشَاعِرَةُ عَلَيْهِ، قَالَ الشَّيخُ أَحْمَدُ النَّجَّارُ: "رُبَّمَا يَعُودُ تَقْرِيرُ أَرِسْطُو ذَاكَ إِلَى تَقْرِيرِهِ نَظَرِيَّةَ المُحَرِّكِ الَّذِي لا يَتَحَرَّكُ، فَاللهُّ عِنْدَهُ لا يَتحَرَّكُ تَمَامًا كَالْأَشَاعِرَةِ، وَبِالتَّالِي فَلَا زَمَنَ عِنْدَهُ، وَبِذَلِكَ فَالْعَالَمُ يُقَارِنُ الْمُتَحَرِّكَ الَّذِي لا يَتَحَرَّكُ، وَلِذَلِكَ فَالْعَالَمُ أَزَلِيٌّ عِنْدَهُ وَعِنْدَ مَنْ تَبِعَهُ مِنَ الْفَلَسَفَةِ".

وَأَمَّا ابْنُ تِيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فَقَدْ أَجَابَ بِمَا اخْتَصَرْتُهُ لَكُمْ، وَهَذَا كَلَامُهُ مَعَ شَرْحِ الْمُصَنِّفِ عَلَيْهِ:

---

[1] [سنن الترمذي]

[2] [وَقَد كَتَبْتُ فِي هَذَا مَقَالًا بِعُنْوَانِ "إثباتُ المَكَانِ للهِّ"، فَلْيُرَاجِعْ]

وَقَوْلُهُ – أَيِ ابْنُ تِيمِيَّةَ –: "(لَكِن مَعَ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ الْمُخْلُوقَةِ الْمَوْجُودَةِ يُقَدِّرُ الذِّهْنُ لَهَا أَحْيَازًا حَاوِيَةً لَهَا وَيُقَدِّرُ ذَلِكَ مَعَ عَدَمِ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ)" يَعْنِي: أَنَّ الْمَشْهُورَ فِي لَفْظِ «الْحَيِّزِ» هُوَ تَقْدِيرُ الْمَكَانِ فِي الذِّهْنِ، فَالذِّهْنُ يُقَدِّرُ أَحْيَازًا تَحْوِي الْأَمَاكِنَ الْوُجُودِيَّةَ، وَهُوَ تَقْدِيرٌ غَيْرُ مَوْجُودٍ فِي الْخَارِجِ.

وَقَوْلُهُ – أَيْضًا –: «أَوْ هُوَ عَدَمِيٌّ لا وُجُودَ لَهُ فِي غَيْرِ الذِّهْنِ كَمَا يَقُولُهُ الْجُمْهُورُ» يَعْنِي: أَنَّ الْجُمْهُورَ عَلَى اتِّفَاقٍ بِأَنَّ الْحَيِّزَ أَمْرٌ عَدَمِيٌّ كَالْدَّهْرِ، فَلَا وُجُودَ لَهُمَا خَارِجَ الذِّهْنِ، بَلِ الذِّهْنُ يُقَدِّرُهُمَا، وَهَذَا يَتَّبِعُ الأَصْلَ الَّذِي قَرَّرْنَاهُ فِي أَوَّلِ فَصْلٍ، وَهُوَ أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ الْخَارِجِيَّةَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مَحْسُوسَةً بِإِحْدَى الْحَوَاسِّ ظَاهِرَةً كَانَتْ أَوْ بَاطِنَةً، فَإِن لَمْ تَكُنْ مَحْسُوسَةً فَهِيَ مَعْدُومَةٌ فِي الْخَارِجِ لَا وُجُودَ لَهَا إِلَّا فِي الذِّهْنِ، كَالزَّمَانِ وَالْحَيِّزِ، وَهُوَ يُؤَكِّدُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّ الْحَيِّزَ تَقْدِيرُ الْمَكَانِ، وَهُوَ لَيْسَ بِشَيْءٍ مَوْجُودٍ، بَلْ عَدَمٌ مُقَدَّرٌ.

فَقَالَ: (وَأَمَّا الْجِهَةُ فَهِيَ لا تَكُونُ جِهَةً إِلَّا بِالتَّوَجُّهِ، فَهِيَ مُفْتَقِرَةٌ إِلَى الْمُتَوَجِّه، وَالْمُتَوَجِّهُ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى جِهَةٍ بِعَيْنِهَا حَالًا، وَإِذَا كَانَتِ الْمَخْلُوقَاتُ لَا تَفْتَقِرُ إِلَى حَيِّزٍ مَوْجُودٍ وَجِهَةٍ مَوْجُودَةٍ أَوْ مَكَانٍ مَوْجُودٍ بِعَيْنِهِ، وَإِن كَانَ فِيهَا مَا يَفْتَقِرُ إِلَى نَوْعِ ذَلِكَ عَلَى الْبَدَلِ، وَمَا يُسَمَّى لَهَا مَكَانًا قَدْ يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ، وَكَذَلِكَ مَا يُسَمَّى حَيِّزًا لَهَا مُتَّصِلًا أَوْ مُنْفَصِلًا قَدْ يَكُونُ

مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ، وَكَذَلِكَ الجِْهَةُ مُفْتَقِرَةٌ إِلَيْهِ فِي مَعْنَى كَوْنِهَا جِهَةً) كَانَ دَعْوَى افْتِقَارِ الْمُتَحَيِّزَاتِ لِلْحَيِّزِ مَعَ اسْتِغْنَاءِ الْحَيِّزِ عَنْهُ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقَاتِ لَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِهِ، بَلْ إِطْلَاقُ ذَلِكَ دَعْوَى بَاطِلَةٌ، فَكَيْفَ فِي حَقِّ الْخَالِقِ الْغَنِيِّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ الْمُفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ؟!)

ثُمَّ قَالَ: "ثُمَّ إِنْ قَالَ مُعْتَرِضٌ عَلَى قِدَمِ جِنْسِ الزَّمَانِ: "إِنَّ هَذَا يَلْزَمُ مِنْ جِنْسِ الزَّمَانِ أَنْ يَكُونَ مُقَارِنًا للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أَوْ يَلْزَمُ مِنْهُ وُجُودُ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا"، قِيلَ لَهُ: "إِنَّ اللَّازِمَ الأَوَّلَ بَاطِلٌ، وَاللَّازِمَ الثَّانِي صَحِيحٌ، فَإِنَّ قِدَمَ جِنْسِ الزَّمَانِ لَا يَعْنِي مُقَارَنَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَالْمَقْصُودُ هُوَ قِدَمُ الْجِنْسِ لَا قِدَمَ الْعَيْنِ، فَلَا نَقُولُ بِقِدَمِ زَمَنٍ مُعَيَّنٍ، بَلْ بِقِدَمِ جِنْسِ الزَّمَانِ، كَمَا أَنَّنَا لَا نَقُولُ بِقِدَمِ هَذَا الْعَالَمِ، بَلْ نَقُولُ بِجَوْزِ قِدَمِ جِنْسِ خَلْقِ الْعَوَالِمِ، كَأَنَّ هَذَا الْعَالَمُ سبَقَ بِالْعَدَمِ ثُمَّ خُلِقَ، وَقَدْ خَلَقَ اللهُ قَبْلَهُ عَالَمًا آخَرَ ثُمَّ أَفْنَاهُ إِلَى آخِرِ ذَلِكَ، وَالْجِنْسُ أَوِ النَّوْعُ لَيْسَ إِلَّا مَوْجُودًا ذِهْنِيًّا لَا وُجُودَ لَهُ فِي الْخَارِجِ، فَهُوَ لَا يُقَارِنُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أَمَّا وُجُودُ الحَوَادِثِ لَا أَوَّلَ لَهَا فَهُوَ الْمُقَرَّرُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَلَا حَدَثَ إِلَّا وَقَبْلَهُ حَدَثٌ، لأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يَكُنْ مُعَطَّلًا سُبْحَانَهُ أَبَدًا فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ، بَلْ هُوَ فَاعِلٌ مُنْذُ الأَزَلِ، وَذَلِكَ مِنْ دَوَامِ خَالِقِيَّتِهِ وَكَمَالِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَإِنْ قِيلَ: "إِنَّ وُجُودَ الزَّمَانِ قَبْلَ الْعَالَمِ يَسْتَلْزِمُ وُجُودَ جِسْمٍ مُتَحَرِّكٍ مُقَارِنٍ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَزَلًا لِكَيْ يُعْلَمَ بِهِ الزَّمَانُ"، قِيلَ: "لَيْسَ كَذَلِكَ، لأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَفْسُهُ مُتَحَرِّكٌ كَيْفَ شَاءَ

وَمَتَى شَاءَ، وَالزَّمَانُ هُوَ مِقْدَارُ الحَرَكَةِ أَوْ هُوَ تَرْتِيبُ الْحَوَادِثِ وَالْحَرَكَاتِ، أَي هُوَ التَّقْدِيرُ الذِّهْنِيُّ لِحَرَكَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَهُوَ تَقْدِيرُ فِعْلِ اللهِ الَّذِي تَلَا الْفِعْلَ الَّذِي قَبْلَهُ وَتَقْدِيرُهُ مَرْهُونٌ بِوُجُودِ الذِّهْنِ، فَلَا إِشْكَالَ هُنَا، لأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَعَلَى النَّقِيضِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْفَلَسَفَةِ مُتَحَرِّكٌ أَزَلًا كَمَا شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ".

ثُمَّ قَالَ: "إِذَنْ فَيُمْكِنُ تَلْخِيصُ نَظَرِيَّةِ ابْنِ تِيمِيَّةَ فِي الزَّمَانِ أَنَّهُ مَوْجُودٌ ذِهْنِيٌّ لَا يُوجَدُ فِي الْخَارِجِ، وَهُوَ مَخْلُوقٌ دَاخِلَ الذِّهْنِ بِاعْتِبَارِهِ مِقْدَارَ الْحَرَكَةِ وَمَخْلُوقٌ فِي الْخَارِجِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ حَرَكَاتِ الْأَجْسَامِ الْخَارِجِيَّةِ مَخْلُوقَةٌ عَدَا أَفْعَالِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالزَّمَانُ الْمُعَيَّنُ هُوَ مِقْدَارُ الْحَرَكَةِ الْمُعَيَّنَةِ، أَمَّا جِنْسُ الزَّمَانِ فَهُوَ جِنْسُ مِقْدَارِ الْحَرَكَاتِ، وَجِنْسُ الزَّمَانِ أَزَلِيٌّ وَأَبَدِيٌّ، وَالزَّمَانُ لَا وُجُودَ لَهُ بِاسْتِقْلَالٍ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالْأَجْسَامِ الْخَارِجِيَّةِ."

ثُمَّ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ عَنِ الْمَكَانِ: "أَمَّا إِنْ قُصِدَ بِالْمَكَانِ مَا يَكُونُ مُحِيطًا بِالشَّيْءِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمَكَانُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ سَطْحًا بَاطِنًا، أَوْ أَنْ يُرَادَ بِهِ جَوْهَرٌ غَيْرُ مَحْسُوسٍ أَبَدًا، فَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ الْقَوْلِ أَنَّهُ قَوْلُ الْمُتَفَلْسِفَةِ، وَهُوَ مَعْنًى لَا يُثْبِتُ عَنْ أَحَدٍ مِنَ التَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: (وَقَدْ يُرَادُ بِالْمَكَانِ مَا يَكُونُ مُحِيطًا بِالشَّيْءِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ، فَأَمَّا أَنْ يُرَادَ بِالْمَكَانِ مُجَرَّدُ السَّطْحِ الْبَاطِنِ، أَوْ يُرَادَ بِهِ جَوْهَرٌ لَا يُحَسُّ بِحَالٍ، فَهَذَا

قَوْلُ هَؤُلَاءِ الْمُتَفَلْسِفَةِ، وَلَا أَعْلَمُ أَحدًا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ يُرِيدُ ذَلِكَ بِلَفظِ «الْمَكَانِ»، وَذَلِكَ الْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ أَرِسْطُو بِلَفظِ «الْمَكَانِ» عَرَضٌ ثَابِتٌ، لَكِنْ لَيْسَ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِلَفْظِ –الْمَكَان– فِي كَلَامِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ، وَلَا فِي كَلَامِ جُمْهُورِ الأُمَمِ عَلَمَائِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ، وَأَمَّا مَا أَرَادَهُ أَفْلَاطُون فَجُمْهُورُ الْعُقَلَاءِ يُنْكِرُونَ وُجُودَهُ فِي الْخَارِجِ)".

ثُمَّ قَالَ: "وَمَعَ هَذَا، فَإِنَّ شَيْخَ الإِسْلَام يَتَوَقَّفُ فِي إِطْلَاقِ لَفْظِ الْجِهَةِ وَالتَّحَيُّزِ إِثْبَاتًا وَنَفْيًا، فَيَسْتَفْصِلُ فِي الْمَعْنَى الْمُرَادِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ، فَقَالَ: «أَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِ: "يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَعْتَقِدَ نَفْيَ الْجِهَةِ عَنِ اللهِ وَالتَّحَيُّزِ"، فَلَيْسَ فِي كَلَامِي إِثْبَاتُ هَذَا اللَّفْظِ، لِأَنَّ إِطْلَاقَ هَذَا اللَّفْظِ نَفْيًا بِدْعَةٌ، وَأَنَا لَمْ أَقُلْ إِلَّا مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَاتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الأُمَّةُ، فَإِنْ أَرَادَ قَائِلُ هَذَا الْقَوْلِ: "أَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ رَبٌّ وَلَا فَوْقَ الْعَرْشِ إِلَهٌ وَأَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يُعْرَجْ بِهِ إِلَى رَبِّهِ وَمَا فَوْقَ الْعَالَمِ إِلَّا الْعَدَمُ الْمَحْض"، فَهَذَا بَاطِلٌ مُخَالِفٌ لِإِجْمَاعِ سَلَفِ الأُمَّةِ، وَإِنْ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ اللهَ لَا تُحِيطُ بِهِ مَخْلُوقَاتُهُ وَلَا يَكُونُ فِي جَوْفِ الْمَوْجُودَاتِ، فَهَذَا مَذْكُورٌ مُصَرَّحٌ بِهِ فِي كَلَامِي، فَإِنِّي قَائِلُهُ، فَمَا الْفَائِدَةُ فِي تَجْدِيدِهِ؟!»".[1]

[1][نَظَرِيَّةُ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ عِنْدَ ابْنِ تِيمِيَّةَ، وهُوَ كِتَابٌ نَفِيسٌ، أَنصَحُ بِقِرَاءَتِهِ لِتتَضِح هَذِهِ الْمَسْأَلَة عِنْدَ الْقَارِئ]

وَالْخُلَاصَةُ أَنَّ نَفْيَ الْمُكَانِ وَالزَّمَانِ فِي حَقِّ اللهِ بِإِطْلَاقٍ هَكَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ، وَلَمْ يُؤَثرْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا صَحَابَتِهِ وَلَا تَابِعِيهِ، بَلْ ثَبَتَ عَنْهُمَا الْعَكْسُ، وَقد تَقَدَّمَ ذِكرُ ذلكَ.

~ الجَوابُ عن النُّقطةِ الثَّالثة:

وَأَمَّا الجَوَابُ عن النُّقْطَةِ الثَّالِثَةِ: فَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ مِنْ وُجُوهٍ عِدَّةٍ:

الوَجْهُ الأَوَّلُ: لَا شَكَّ أَنَّ مَكَانَةَ اللهِ عُلْيَا، وَهُوَ عَظِيمٌ جَلَّ جَلَالُهُ، وَلَكِنِ الإِشْكَالُ هُنَا فِي قَوْلِ مَشْهُورٍ: "إِنَّ الْمُرَادَ بِالمَكَانِ هُنَا هِيَ الْمَكَانَةُ، لَا الْمَكَانُ." فَهَذَا صَرْفٌ لِمَعْنَى النَّصِّ عَنْ ظَاهِرِهِ بِغَيْرِ دَلِيلٍ. فَمِنْ أَيِّ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ أَتَيْتَ بِـ "مَكَانَةٍ"؟ وَمَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحَدِيثِ مَكَانَةُ اللهِ لَا مَكَانُهُ؟ مَنْ سَلَفُكَ فِي هَذَا؟ الصَّحَابَةُ؟ التَّابِعُونَ؟ أَتْبَاعُ التَّابِعِينَ؟ كُلُّهُمْ يُخَالِفُونَكَ فِي هَذَا - وَسَأُورِدُ أَقْوَالَهُمْ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ -. فَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ بِالْقَرِينَةِ الَّتِي تَصْرِفُ مَعْنَى النَّصِّ عَنْ ظَاهِرِهِ هُنَا؟ أَمْ أَنَّهَا قَرِينَةٌ كَلَامِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ فَلْسَفِيَّةٌ أَخَذْتَهَا مِنْ أَرِسْطُو وَأَفْلَاطُون، تَقُولُ بِأَنَّ إِثْبَاتَ الْمَكَانِ فِي حَقِّ اللهِ لَا يَجُوزُ، فَبِالتَّالِي وَجَبَ عَلَيْنَا تَأْوِيلُ هَذَا الْحَدِيثِ؟ عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ بِالدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ الصَّحِيحِ الصَّرِيحِ يَا مَشْهُورُ؛ دَلِيلٌ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوِ السُّنَّةِ، أَوْ مِنْ كَلَامِ السَّلَفِ.

وَلْيُعْلَمْ أَنَّ المُعَطِّلَةَ بِأَسْرِهِمْ يَسْتَعْمِلُونَ هَذِهِ الشُّبْهَةَ فِي تَأْوِيلِ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عُلُوِّ اللهِ، فَيَجْعَلُونَهَا فِي عُلُوِّ مَكَانَتِهِ، لَا مَكَانِهِ.

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: "وَالمُعَطِّلَةُ تُنْكِرُ عَظَمَةَ ذَاتِهِ، وَلَا يُثْبِتُونَ إِلَّا عَظَمَةً مَعْنَوِيَّةً، لَا يُثْبِتُونَ عَظَمَةَ الذَّاتِ، كَمَا يَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الْعُلُوِّ أَنَّهُ عُلُوٌّ مَعْنَوِيٌّ، لَا أَنَّ ذَاتَهُ عَالِيَةٌ عَلَى كُلِّ المَخْلُوقَاتِ، فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ عَلِيًّا وَلَا عَظِيمًا إِلَّا بِاعْتِبَارٍ مَعْنَوِيٍّ فَقَطْ، كَعُلُوِّ قِيمَةِ الجَوْهَرِ عَلَى قِيمَةِ الخَزَفِ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ أَثْبَتُوا لَهُ الْعُلُوَّ وَالْعَظَمَةَ بِكُلِّ اعْتِبَارٍ."[1]. فَنَحْنُ نُثْبِتُ للهِ عُلُوَّ المَكَانَةِ بِلَا شَكٍّ، وَلَكِنَّنَا لَا نَنْفِي مَكَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ سُبْحَانَهُ.

الوَجْهُ الثَّانِي: قَدْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ فَوْقَ عَرْشِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ دَلِيلٍ. قَالَ الإِمَامُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: "قَالَ بَعْضُ أَكَابِرِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ: فِي الْقُرْآنِ أَلْفُ دَلِيلٍ أَوْ أَزْيَدُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى عَالٍ عَلَى الخَلْقِ وَأَنَّهُ فَوْقَ عِبَادِهِ." .[2]وَلمن اسْتَقْرَأَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ وَأَقْوَالَ الصَّحَابَةِ وَتَفْسِيرَهُمْ عَرَفَ ذَلِكَ. فَهَلْ يَحْتَاجُ رَبُّنَا إِلَى أَلْفِ دَلِيلٍ أَوْ أَزْيَدَ لِيُثْبِتَ لَنَا أَنَّ مَكَانَتَهُ عَالِيَةٌ؟ وَقَدْ عَلِمَ مَشْهُورٌ وَغَيْرُهُ بِأَنَّ عُلُوَّ مَكَانَةِ اللهِ أَمْرٌ فِطْرِيٌّ طَبِيعِيٌّ مَوْجُودٌ فِي كُلِّ

---

[1] [الصَّوَاعِقُ المُرْسَلَةُ]

[2] .[مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى]

مَنْ خَلَقَهُ اللهُ وَوَضَعَ فِيهِ عَقْلًا يَعْقِلُ بِهِ، فَلَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يَأْتِيَ عَاقِلٌ وَيَعْتَقِدَ بِأَنَّ مَكَانَةَ اللهِ لَيْسَتْ عُلْيَا، فَتَنَبَّهْ لِهَذَا فَإِنَّهُ دَقِيقٌ.

الوَجْهُ الثَّالِثُ: لَوْ كَانَ الْمُرَادُ مِنْ سُؤَالِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَكَانَةَ لَا الْمَكَانَ، فَهَلْ سَيُورِدُ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ هَذَا السُّؤَالَ امْتِحَانًا لِإِيمَانِهَا؟ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَسْأَلْهَا لِيُدْخِلَهَا الإِسْلَامَ، وَإِنَّمَا سَأَلَهَا امْتِحَانًا لَهَا. فَهَلْ يَعْقِلُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَظُنُّ بِالْجَارِيَةِ أَنَّهَا تَرَى مَكَانَةَ اللهِ سُفْلَى وَلَيْسَتْ بِعُلْيَا حَتَّى يَسْأَلَهَا عَنْ مَكَانَتِهِ؟ هَلْ هُنَاكَ عَاقِلٌ يَشُكُّ بِأَنَّ مَكَانَةَ اللهِ لَيْسَتْ عُلْيَا أَصْلًا؟ اللهُ الْمُسْتَعَانُ.

~ الجوابُ عن النُّقطةِ الرَّابعةِ:

وأمَّا الجوابُ عن النُّقطةِ الرَّابعةِ فَيَسيرٌ، وذلك أنَّ قولَه: "اللهُ كان، ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، لم يتبدَّلْ عمَّا كان" هو من قولِ الفلاسفةِ، لا من كلامِ النَّبيِّ ﷺ، ولا من كلامِ صحابتِه كعليٍّ رضي الله عنه، ولا من كلامِ التَّابعينَ ولا من بعدَهم، فنسبتُه إلى عليٍّ رضي الله عنه نسبةٌ كاذبةٌ باطلةٌ.

وكلُّ مَن عرَفَ اللُّغةَ العربيَّةَ عرَفَ أنَّ هذا الكلامَ بهذا التَّركيبِ ليس من كلامِ العربِ، فضلًا أن يكونَ من كلامِ الله أو نبيِّه ﷺ، فليس من الممكنِ أن يتكلَّمَ اللهُ جلَّ جلالُه أو النَّبيُّ ﷺ بهذه الطَّلاسمِ، فإنَّ هذهِ الطَّلاسمُ أشبهُ ما تكونُ بكلامِ السَّحَرةِ، على وَزنٍ واحدٍ، وعلى قافيَةٍ واحدةٍ، سَجعٌ قبيحٌ جدًّا، يُعارِضُ الكتابَ والسُّنَّةَ.

ومَا أحسنَ ما قاله الإمامُ ابنُ تيميَّةَ رحمهُ الله، فقَد قَال: "مِنْ أَعْظَمِ الْأُصُولِ الَّتِي يَعْتَمِدُهَا هَؤُلَاءِ الِاتِّحَادِيَّةُ الْمَلَاحِدَةُ الْمُدَّعُونَ لِلتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ مَا يَأْثُرُونَهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ عندمَا قَالَ: (كَانَ اللهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ)، عِنْدَ الِاتِّحَادِيَّةِ الْمَلَاحِدَةِ، وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ

وَهُوَ قَوْلُهُ: (وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ) كَذِبٌ مُفْتَرًى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ عَلَى أَنَّهُ مَوْضُوعٌ مُخْتَلَقٌ، وَلَيْسَ هُوَ فِي شَيْءٍ مِنْ دَوَاوِينِ الْحَدِيثِ لَا كِبَارِهَا وَلَا صِغَارِهَا، وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ بَعْضُ مُتَأَخِّرِي مُتَكَلِّمَةِ الْجَهْمِيَّةِ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَلُوا إلَى آخِرِ التَّجَهُّمِ -وَهُوَ التَّعْطِيلُ وَالْإِلْحَادُ- وَلَكِنَّ أُولَئِكَ قَدْ يَقُولُونَ: "كَانَ اللَّهُ وَلَا مَكَانٌ وَلَا زَمَانٌ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ" فَقَالَ هَؤُلَاءِ: "كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ"، وَإِنَّمَا الْحَدِيثُ الْمَأْثُورُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ)، وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ الْإِلْحَادِيَّةُ وَهُوَ قَوْلُهُمْ: "وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ": قَصَدَ بِهَا الْمُتَكَلِّمَةُ الْمُتَجَهِّمَةُ نَفْيَ الصِّفَاتِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ، مِنْ اسْتِوَائِهِ عَلَى الْعَرْشِ، وَنُزُولِهِ إلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَقَالُوا: "كَانَ فِي الْأَزَلِ لَيْسَ مُسْتَوِيًا عَلَى الْعَرْشِ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ"، فَلَا يَكُونُ عَلَى الْعَرْشِ لِمَا يَقْتَضِي ذَلِكَ مِنْ التَّحَوُّلِ وَالتَّغَيُّرِ." [1]

وقالَ الشَّيخ محمَّد خليل هرَّاس رحمه الله: "إِنَّ قُصَارَى مَا يَقُولُهُ الْمُتَحَذْلِقُ مِنْهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ وَلَا مَكَانَ، ثُمَّ خَلَقَ الْمَكَانَ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا كَانَ قَبْلَ الْمَكَانِ"،

[1] [مجموعة الفتاوى]

فَمَاذَا يَعْنِي هَذَا الْمُخَرِّف بِالْمُكَانِ الَّذِي كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ؟! هَلْ يَعْنِي بِهِ تِلْكَ الْأَمْكِنَةَ الْوُجُودِيَّةَ الَّتِي هِيَ دَاخِلُ مُحِيطِ الْعَالَمِ؟! فَهَذِهِ أَمْكِنَةٌ حَادِثَةٌ، وَنَحْنُ لَا نَقُولُ بِوُجُودِ اللهَّ فِي شيءٍ مِنْهَا، إِذْ لَا يَحْصُرُهُ وَلَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَأَمَّا إِذَا أَرَادَ بِهَا الْمُكَانَ العَدَميَّ ، الَّذِي هُوَ خلاءٌ محضٌ لَا وُجُودَ فِيهِ، فَهَذَا لَا يُقَالُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ، ثم خُلِق، إِذْ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْخَلْقُ، فَإِنَّهُ أَمْرٌ عدميٌّ، فَإِذَا قِيلَ: "إِنَّ اللهَّ فِي مَكَانٍ بِهَذَا الْمُعْنَى، كَمَا دلَّت عَلَيْهِ الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ"، فَأَيُّ محذورٍ فِي هَذَا؟! بَلِ الْحَقُّ أَنْ يُقَالَ: كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، ثم خلق السَّماوات وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وَثُمَّ هُنَا لِلتَّرْتِيبِ الزَّمَانِيِّ لَا لمجرَّد الْعَطْفِ." [1]

وأمَّا نسبةُ هذه الجملةِ القبيحةِ إلى عليٍّ رضي الله عنه، فهي نسبةٌ كذبٌ وزورٌ يُسألُ عنها مشهورٌ أمام اللهِ، فقد نقلها عبدُ القاهر البغداديُّ في كتابِهِ الفرق بين الفرق بلا إسنادٍ يُذكَر، فلا يُلتفتُ إليها، ويُضربُ بها وجهُ الحائطِ، وإنما يُلتفتُ إلى الصحيحِ ممَّا رواه الآجُرِّي في كتابِهِ عندَمَا قال: "فَهَذِهِ السُّنَنُ قَدِ اتَّفَقَتْ مَعَانِيهَا وَيُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَكُلُّهَا يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا: إِنَّ اللهَّ جلَّ جلاله عَلَى عَرْشِهِ، فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، وَقَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَإِنَّهُ سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، عَلِيمٌ، خَبِيرٌ وَقَدْ قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ

[1] [شرحُ العقيدةِ الواسطيَّة]

الْأَعْلَى﴾، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اسْتَفْتَحَ دُعَاءَهُ يَقُولُ: "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ إِذَا قَرَءُوا ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، قَالُوا: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، مِنْهُمْ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عُمَرَ رضيَ الله عنه، وَقَدْ عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ أَنْ يَقُولُوا فِي السُّجُودِ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى ثَلَاثًا، وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا يُقَوِّي مَا قُلْنَا: أَنَّ اللَّهَ جلَّ جلاله الْعَلِيَّ الْأَعْلَى: عَلَى عَرْشِهِ، فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، خِلَافَ مَا قَالَتْهُ الْحُلُولِيَّةُ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ مَذْهَبِهِمْ." [1]

اللهُ أَكبر! ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾.

[1] [الشريعة]

~ الجوابُ عن النُّقطةِ الخَامسةِ:

فأمَّا الجوابُ عن النُّقطةِ الخامسةِ، فإنَّه يكونُ باستقراءِ كلامِ السَّلفِ والإحاطةِ به قدرَ المستطاعِ من جميعِ جوانبِه، وكلُّ مَنِ استقرأَ كلامَ السَّلفِ وأحاطَ به من مَظانِّه، عِلِمَ علمًا يقينيًّا أنَّهم لم يكونوا يتأوَّلون هذه الآياتِ، بل يُمرِّرونَها على ظاهرِها.

وأمَّا قولُ مشهور: "إنَّ هذه الآياتِ والأحاديثَ مُتأوَّلةٌ، وليست على ظاهرِها"، فهو قولٌ ساقطٌ جدًّا، ويفتقرُ إلى الدَّليل، ولن يجِدَ حتَّى يلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياط، لا سيَّما قولُه: "الكُلُّ مُتَّفِقٌ ومُجمِعٌ على أنَّه ليس لله مكان". وهذا قولٌ مُضحكٌ إلى أبعدِ حدٍّ؛ فهو لم يُورِدِ الخلافَ التَّاريخيَّ الذي وقع بين أهلِ السُّنَّةِ والجَهميَّةِ ومَن تبِعهم من مُعتزلةٍ وأشاعرةٍ على الأقلِّ! فمِن أين نقل هذا الإجماع؟ وفي أيِّ عصرٍ من العصورِ تمَّ الاتِّفاقُ على هذا؟ أمِنَ الأشاعرةِ؟ وهل ينعقدُ الإجماعُ بهم في مثلِ هذه المسائلِ أصلًا؟ إنَّ ما يقولُه هذا الرَّجلُ لا يُذكِّرني إلَّا بما قاله ابنُ رَجَبٍ الحنبليُّ، عندما بدَّع المُتكلمون عبدَ الغني المقدسيَّ وحكَموا بكُفره، فقد قال: "فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: "أَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ عَلَى الْفَتْوَى بِكُفْرِهِ (أَيْ عَبْدِ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيَّ)، وَأَنَّهُ مُبْتَدِعٌ"، فَيَا للهَّ الْعَجَبُ، كَيْفَ يَقَعُ الْإِجْمَاعُ، وَأَحْفَظُ أَهْلَ وَقْتِهِ لِلسُّنَّةِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِهَا هُوَ الْمُخَالِفُ؟ وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ قَاضِي الْقَضَاءِ الشَّامِيُّ الشَّافِعِيُّ لَمَّا عُقِدَ لَهُ مَجْلِسٌ

بِبَغْدَادَ، وَنَاظَرَهُ الْغَزَالِيُّ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِ بِأَنَّ الْإِجْمَاعَ مُنْعَقِدٌ عَلَى خِلَافِ مَا عَمِلَت بِهِ، فَقَالَ الشَّامِيُّ: "إِذَا كُنْتَ أَنَا الشَّيْخُ فِي هَذَا الْوَقْتِ أُخَالِفُكُمْ عَلَى مَا تَقُولُونَ، فَبِمَنْ يَنْعَقِدُ الْإِجْمَاعُ؟! بِكَ وَبِأَصْحَابِكَ؟!" [1] وإنَّما ينعقدُ الإجماعُ بأصحابِنا أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، لاتِّصالِهم بآثارِ النُّبوَّةِ كابرًا عن كابر.

قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ: «الجَهْمِيَّةُ أَشَرُّ قَوْلًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، قَدِ اجْتَمَعَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَأَهْلُ الْأَدْيَانِ أَنَّ اللهَّ جلَّ جلالهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَقَالُوا هُمْ لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ شَيْءٌ». [2]

وقَالَ إِسْحَاق بن راهويه: «قَالَ الله تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ على الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، إجماع أهل العلم أنه فَوق الْعَرْشِ اسْتَوَى وَيعلم كل شَيْء فِي أَسْفَلِ الْأَرْضِ السَّابِعَة». [3]

[1] [ذيلُ طبقاتِ الحنابلة]

[2] [السُّنَّة لعبد الله]

[3] [درء تعارض العقل والنَّقل]

وقال أَبُو الْعَبَّاس السرَّاج: سَمِعت قُتَيْبَة بن سعيد يَقُول: "هَذَا قَول الأَئِمَّة فِي الْإِسْلَام وَالسّنة وَالجَمَاعَة، نَعرف ربنا في السَّمَاء السابعة على عَرْشِه كَمَا قَالَ جِلْ جَلاله الرَّحْمَن على الْعَرْشِ اسْتَوَى". [1]

وقَال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ، قَالَ: "سَأَلْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ عَنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أُصُولِ الدِّينِ، وَمَا أَدْرَكَا عَلَيْهِ الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ، وَمَا يَعْتَقِدَانِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَا: "أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ حِجَازًا وَعِرَاقًا وَشَامًا وَيَمَنًا فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمُ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهَّ غَيْرُ مَخْلُوقٍ بِجَمِيعِ جِهَاتِهِ، وَأَنَّ اللهَّ جلَّ جلاله عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ بِلَا كَيْفٍ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا." [2]

وقَال ابن قتيبة الدِّينوريِّ: "وَالْأُمم كُلُّهَا عَرَبِيُّهَا وَعَجَمِيُّهَا تَقُولُ: إِنَّ اللهَّ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ مَا تُرِكَتْ عَلَى فِطَرِهَا وَلَمْ تُنْقَلْ عَنْ ذَلِك بِالتَّعْلِيمِ." [3]

---

[1] [العلوُّ للعليِّ الغفَّار]

[2] [شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة]

[3] [تأويل مختلف الحديث]

وقَال عثمان بن سعيد الدَّارمي: "وَقَدِ اتَّفَقَتِ الكَلِمَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالكَافِرِينَ أَنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ، حَتَّى الصَّبْيَانُ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ قَدْ عَرَفُوهُ بِذَلِكَ، إِذَا حَزَبَ الصَّبِيَّ شَيْءٌ يرفع يَدَيْهِ إِلَى رَبِّهِ يَدْعُوهُ فِي السَّمَاءِ دُونَ مَا سِوَاهَا، فَكُلُّ أَحَدٍ بِاللهِ وَبِمَكَانِهِ أَعْلَمُ مِنَ الجَهْمِيَّةِ"، وقال: "وَقَدِ اتَّفَقَتِ الكَلِمَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى فَوْقَ عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ." [1]

وَهذَا غَيْضٌ مِن فَيْضٍ، فَإِنَّ إِجْمَاعَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى عُلُوِّ اللهِ فَوق عَرشِهِ تَكَادُ لَا تُحصَى، فَأَحبَبتُ نَقلَ شَيءٍ يَسِيرٍ مِنهَا.

وَأَمَّا دَعوَاهُ أَنَّ هَذِهِ الآيَاتِ مُتَأَوَّلَةٌ وَلَا يُرَادُ ظَاهِرُهَا، فَهَذَا أَبطَلُ مِن قَولِهِ الأَوَّل، فَإِنَّ الْمُستَقرِئَ لِكَلَامِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَتبَاعِهِم يَعرِفُ تَقرِيرَهُم لآيَاتِ وَأَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، وَإِثبَاتَهُم الحَقِيقِيَّ لَهَا، دُونَ تَكيِيفٍ.

قَالَ الإمامُ أبو عبد الله بن منده: «وَالْإِيمَان بِمَا ورد فِي الْقُرْآن من صِفَات الله تَعَالَى كَالْيَدِ، والإتيان والمجيء، وإمرارها عَلَى مَا جَاءَت، لَا تكيف، وَلَا تتأول. فَإِن قيل: قد تأولتم

[1] [نقض الدَّارمي على بشرٍ المرِّيسي]

قَوْله عز وجل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُم﴾ وحملتموه عَلَى الْعلم. قُلْنَا: مَا تأولنا ذَلِكَ، وَإِنَّمَا الْآيَة دلّت عَلَى أَن الْمُرَاد بذلك الْعلم، لِأَنَّهُ قَالَ فِي آخرهَا: ﴿إِنَّ اللهَّ بِكُل شَيْء عليم﴾» [1]

وقَال ابنُ بطَّة: (سَأَلَ بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ حَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْمَاعِيلَ، الْحَدِيثُ الَّذِي جَاءَ «يَنْزِلُ اللهَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ: حَقٌّ، كُلُّ ذَلِكَ كَيْفَ شَاءَ اللهَّ.») [2]

وقالَ الطبري: «فإن قال لنا قائلٌ: فما الصواب من القول في معاني هذه الصفات التي ذكرت، وجاء ببعضها كتاب الله عز وجل ووحيه، وجاء ببعضها رسول الله ﷺ؟ قيل: الصواب من هذا القول عندنا، أن نثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات ونفي التشبيه.» [3]

وقال أبو عمر ابن عبد البرِّ رحمه الله: "أهلُ السُّنة مُجمِعُون على الإقرار بالصِّفاتِ الواردةِ كلِّها في القرآنِ والسُّنة، والإيمان بها، وحَملِها على الحقيقةِ لا على المجاز، إلّا أنَّهم لا يُكيِّفون

---

[1] [الحجة في بيان المحجة]

[2] [الإبانة الكبرى]

[3] [التبصير في معالم الدين]

شيئًا من ذلك، ولا يَحُدُّون فيه صفَةً محصورةً، وأمّا أهلُ البِدعِ والجهميّةُ والمعتزِلَةُ كلُّها والخوارجُ، فكُلُّهم يُنكِرُها، ولا يحمِلُ شيئًا منها على الحقيقة، ويزعُمون أنَّ مَن أقَرَّ بها مُشَبِّهٌ، وهم عندَ من أثبَتها نافُون للمعبود، والحقُّ فيما قاله القائلون بما نطَق به كتابُ الله، وسُنَّةُ رسولِه، وهم أئمَّةُ الجماعة، والحمدُ لله." [1]

وقال القاضي أبو يعلى: "واعلم أنَّه لا يجوزُ ردُّ هذه الأخبارِ، على ما ذهبَ إليه جماعةٌ من المعتزلةِ، ولا التشاغُلُ بتأويلِها على ما ذهبَ إليه الأشعريةُ. والواجبُ حملُها على ظاهرِها، وأنَّها صفاتٌ للهِ تعالى، لا تُشبهُ سائرَ الموصوفينَ بها من الخلقِ، ولا نعتقدُ التشبيهَ فيها، لكنْ على ما رُوي عن شيخِنا وإمامِنا أبي عبدِ اللهِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ حنبلٍ وغيرِه من أئمةِ أصحابِ الحديثِ، أنَّهُم قالوا في هذه الأخبارِ: أمِرُّوها كما جاءتْ، فحملوها على ظاهرِها في أنَّها صفاتٌ للهِ تعالى لا تُشبهُ سائرَ الموصوفينَ." [2]

وَغَيرُ هَذَا كَثِيرٌ جِدًّا مِن كَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَن تَبِعَهُم فِي تَفسِيرِ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَعَدمِ تَأوِيلِهَا، وَلِمَن شَاءَ الِاستِزَادَةَ فَليُرَاجِعْ مُوسُوعَةَ التَّفسِيرِ المَأثُور، وَلِيَقرَأْ آيَاتِ

---

[1][التَّمهيد]

[2][إبطال التأويلات]

الصِّفَاتِ وَلِيَرَ مَا وَرَدَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي تَفسِيرِهَا، وَلِيُقَارِنْ بَعدَهَا: هَل مَشهُور فَوَّاز صَادِقٌ فِي دَعوَاهُ أَم كَاذِبٌ؟ وَلَا حول وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله.



لماذَا نرفعُ أيدينَا إلى السَّماء عند الدُّعاء؟

قال مشهور فوَّاز: "طب أحد بقول: طب لماذا لمَّا ندعو نرفع أيدينا إلى السَّماء؟ لأنَّ السَّماء قبلة الدُّعاء، السَّماء أشرفُ الجهات، السَّماء قبلة الدعاء، وأيضًا نتوجَّهُ إلى القبلة ليس لأنَّ الله في القبلة، وإنَّما لأنَّ القبلة جهة شريفة، جهة مكرَّمة، من هذا الباب."[1]

بعد أن أصَّل مشهور فواز لنفي عُلوِّ الله تبعًا لأسلافه من الجهميَّة والمعتزلة، حاول أن يُجيب عن سؤالٍ مطروحٍ يُشوِّش على المتكلِّمين عقيدتهم، وهو: لِماذا نرفعُ أيدينا إلى السَّماء عند الدُّعاء إن كان الله جلَّ جلاله ليس فيها؟

فأراد أن يَدفَع هذا الاعتراض الفِطريَّ الكامنَ في داخل كلِّ إنسان، إذ إنَّه متى ما أراد أن يتوجَّه إلى الله تعالى رفع تلقائيًّا يدَيْه أو إصبَعه أو بصرَه إلى السَّماء؛ لأنَّه مستقرٌّ في قلوب النَّاس كافَّة أنَّ الله سبحانه فوقهم.

---

[1] - 35:35–36:00

فكانت الفِطرةُ دائمًا تحمِل الإنسانَ على هذا التوجُّه التلقائيِّ الذي لا مَهْرب منه، حتى إنَّ زعيمَ المتكلِّمين الجوينيَّ، لَمَّا عُرِض عليه هذا السؤال، احتار ولم يستطع أن يُجيب.

قال الذَّهبيُّ: "قَالَ مُحَمَّدُ بنُ طَاهِرٍ: حضَر المُحَدِّثُ أَبُو جَعْفَرٍ الهَمَذَانِيّ فِي مَجْلِسَ وَعظِ أَبِي المَعَالِي، فقَالَ: كَانَ اللهُ وَلاَ عرش، وَهُوَ الآنَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ. فَقَالَ أَبُو جَعْفَر: أَخْبِرْنَا يَا أَسْتَاذ عَنْ هَذِهِ الضَّرُوْرَة الَّتِي نَجدُهَا، مَا قَالَ عَارِفٌ قَطُّ: يَا الله! إِلاَّ وَجَد مِنْ قَلْبِهِ ضَرُوْرَة تَطلب العلوَّ وَلاَ يَلتَفِتُ يَمنَةً وَلاَ يَسرَةً، فَكَيْفَ نَدفَعُ هَذِهِ الضَّرُوْرَة عَنْ أَنْفُسنا؟ أَوْ قَالَ: فَهَلْ عِنْدَكَ دوَاءٌ لدفعِ هَذِهِ الضَّرُوْرَة الَّتِي نَجدُهَا؟ فَقَالَ: يَا حَبِيْبِي! مَا ثَمَّ إِلاَّ الحَيْرَة. وَلطم عَلَى رَأْسه، وَنَزَلَ، وَبَقِيَ وَقت عَجِيْب، وَقَالَ فِيمَا بَعْد: حيَّرَنِي الهَمَذَانِيُّ." [1]

فهذه الحيرةُ لم يَسْلَمْ منها المتكلِّمون إلى يومنا هذا؛ حتى إنَّهم أنفسَهم إذا أرادوا أن يتحدَّثوا عن الله عزَّ وجلَّ دفعتْهم هذه الضَّرورةُ إلى أن يتوجَّهوا إلى السَّماء، فتراهم يُشيرون بأيديهم وأبصارهم وصدورهم إلى السَّماء العُليا كلَّما تكلَّموا عن الله عزَّ وجلَّ، مع أنَّهم يَنفون عُلوَّه!

---

[1] [سير أعلام النُّبلاء]

فكانت هذه الفِطرةُ التي فطرَ اللهُ خلقَه عليها عامِلًا مُشوِّشًا مُعكِّرًا على عقيدة الجهميَّة ومَن تبِعهم في نفي عُلوِّ الله، حتَّى إنَّ السَّلفَ كانوا يربطون المعنى الصَّحيح لعلوِّ الله بما يَستقرُّ في قلوب العامَّة.

قَال الإمامُ يزيدُ بن هارون رحمهُ الله: "مَن زَعَمَ أنَّ (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ) علىٰ خِلافِ ما يَقرُّ في قُلُوبِ العامَّةِ فهو جَهمِيٌّ." [1]

وقَال الإمامُ ابن القيِّم رحمهُ الله: "وَمِنْ أَبْيَنَ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْفِطْرُ وَالْعُقُولُ وَالشَّرَائِعُ: عُلُوُّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ جَمِيعِ الْعَالَمِ، فَإِنَّ اللهَّ فَطَرَ عَلَى هَذَا الْخَلِيقَةِ حَتَّى الْحَيَوَانَ الْبَهِيمَ، وَمَنْ أَنْكَرَ هَذَا فَهُوَ فِي جَانِبٍ، وَالْفِطْرُ السَّلِيمَةُ وَالْعُقُولُ الْمُسْتَقِيمَةُ وَجَمِيعُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ وَمَنْ أَرْسَلَ بِهَا فِي جَانِبٍ." [2]

وقالَ الإمامُ ابن عبد البرِّ رحمهُ الله: "وَمِنَ الحجَّةِ أيضًا في أنَّهُ عزَّ وجلَّ علىٰ العَرشِ فوقَ السمواتِ السبعِ: أنَّ الموَحِّدينَ أجمعين مِنَ العَرَبِ والعَجَمِ إذا كَرَبَهُم أمرٌ، أو نَزَلَت بهم

---

[1] [السُّنَّة لعبد الله]

[2] [الصَّواعق المرسلة]

شدةٌ، رَفَعُوا وجوهَهُم إلى السماءِ، يَستَغِيثُون ربَّهُم -تبارك وتعالىٰ-، وهذا أشهَرُ وأعرَفُ عند الخاصَّةِ والعَامَّةِ مِن أن يُحتاجَ فيه إلى أكثرَ مِن حكَايَتِهِ؛ لأنَّه اضطرارٌ لم يُؤَنِّبهُم عليه أحَدٌ، ولا أَنكَرَهُ عليهم مُسلِمٌ." [1]

ومهما تجهَّم المتجهِّمون، وتأوَّل المتأوِّلون، وزخرف القولَ المزخرفون، فإنَّها فطرةُ الله، لا تبديل لها: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾.

وأمَّا بخصوصِ كلامه، فإنَّه باطلٌ مردودٌ عليه من وجوه عدَّة:

الوَجهُ الأوَّل: ثَبِّتِ العرشَ ثمَّ انقش. فإنَّ الكلامَ في دين الله لا يكون بالظُّنون والآراء، ولا باستحسان الأقوال وتركيبها على نصوص الشريعة، لا سيَّما إذا عارضت آلاف الأدلَّة من القرآن والسُّنَّة وإجماع الأُمَّة على أنَّ اللهَ في السَّماء، على عرشِه مستوٍ.

---

[1] [التَّمهيد]

والمتقرِّر في القَواعد: أنَّ كلَّ قولٍ أو فعل توفر سببه في عهدِ رسول الله ﷺ ولم يقله أو يفعله = فالواجب ردُّه. والمتقرِّر في القَواعد: أنَّ تأخيرَ البيانِ عن وقت الحاجة لا يجوز. والمتقرِّر عند المسلمين جميعًا أنَّ دين الله كامل، وأنَّ النبيَّ ﷺ قد بلَّغ الرسالة على أكمل وجه. ومن زعم غير ذلك فهو كافرٌ خالعٌ لربقة الإسلام من عنقه بالكليَّة.

وعليه، فإنَّ على مشهور أن يأتي بدليلٍ واحدٍ صحيحٍ من القرآن أو السنَّة أو من سلف هذه الأُمَّة يدلُّ على أنَّ الله ليس في السَّماء وأنَّ اتِّجاهنا إلى السماء عند الدعاء إنما هو لأنَّها قبلة الدعاء لا لأنَّ الله فيها، وأنَّ ما رويَ من آياتٍ وأحاديث وآثار على أنَّ الله في السماء مردودٌ مرجوحٌ باطل. ونحن ننتظر منه ذلك.

قَالَ ابن تيميَّة: "فَلَوْ كَانَ اللهُ قَدْ جَعَلَ الْعَرْشَ أَوِ السَّمَاءَ قِبْلَةً لِلدُّعَاءِ كَانَ فِي الشَّرِيعَةِ مَا يُبَيِّنُ ذَلِكَ وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا شَيْءَ مِنَ الْآثَارِ عَنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَلَا أَئِمَّتِهَا وَلَا فِي الْآثَارِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ كَمُوسَى وَعِيسَى وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ أَنَّ الْعَرْشَ أَوِ السَّمَاءَ قِبْلَةٌ لِلدُّعَاءِ فَعُلِمَ أَنَّ دَعْوَى ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرْيَةِ عَلَى اللَّهِ وَأَنَّ هَذَا مِنْ جُمْلَةِ افْتِرَاءِ الْجَهْمِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رُسُلِهِ وَدِينِهِ." [1]

[1] [بيان تلبيس الجهميَّة]

وقَالَ ابنُ القيِّم رحمهُ الله: "فَاتَّفَقَتْ فِطْرَةُ اللهَّ الْمُسْتَقِيمَةُ وَالْعَقْلُ الصَّرِيحِ وَالْوَحْيُ الْمُبَصِّر الْمُكَمِّلُ عَلَى الْإِقْرَارِ بِمَوْجُودٍ فطَرَ هَذَا الْعَالَمَ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ عَالِيهِ وَسَافِلُهُ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَشَهِدَتْ الْفِطَرَ وَالْعُقُولُ وَالشَّرَائِعُ الْمُنَزَّلَةُ كُلُّهَا بِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْعَالَمِ، وَلَا مُمَاثِلًا لَهُ، وَأَنَّهُ مُبَاينٌ لَهُ، غَيْرُ مُمْتَزَجٍ بِهِ، وَلَا مُتَّحِدٍ بِهِ، وَلَا حَالٍّ فِيهِ، وَأَنَّهُ فَوْقَ جَمِيعِ الْعَالَمِ عَالٍ عَلَيْهِ، بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعُلُوِّ ذَاتًا وَقَهْرًا وَعَظَمَةً، وَأَنَّهُ مَوْصُوفٌ بِجَمِيعِ الْكَمَالِ الْمُقَدَّسِ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، فَتَوَهُّم رَفْعُهُ عَنْهُ كَتَوَهُّمِ عَدَمِ ذَاتِهِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْأَصْلُ مَعْلُومًا عِنْدَهُ عِلْمًا لَا يَشُكُّ فِيهِ وَلَا يَرْتَابُ بَلْ هُوَ لِقَلْبِهِ كَالْمُشَاهَدَاتِ لِبَصَرِهِ، وَإِلَّا اضْطَرَبَ عَلَيْهِ بَابُ مَعْرِفَةِ اللهَّ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقْدَحَ فِي مُقَدِّمَاتِ هَذَا الْأَصْلِ الَّتِي هِيَ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ الضَّرُورِيَّاتِ بِمُقَدِّمَاتٍ يَدَّعِي أَرْبَابُهَا أَنَّهَا نَظَرِيَّاتٌ." [1]

الوجه الثَّاني: جاءت نصوصُ الشَّريعة مبينةً أنَّ توجُّه المسلم إلى السَّماء عند الدعاء أو غيره ليس لمجرَّد كونها قبلة، بل بسبب أنَّ الله فيها، ومن هذه النُّصوص قولُ الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾.

---

[1] [الصَّواعق المرسلة]

فقد كان النبيُّ ﷺ يدعو ربَّه وينظر إلى السَّماء راجيًا من الله أن يُنزِلَ وحيًا من عنده يُبشِّره بأنَّ القبلة قد تغيَّرت من بيت المقدس إلى مكَّة مُراضاةً له من ربِّه، ولذلك كان جواب الله حاضرًا عندما التجأ النَّبيُّ ﷺ إلى الجهةِ التي هو فيها.

ومن أجلِ هذَا يلتجئ المسلمون إلى السَّماء عند التضرُّعِ إلى الله سبحانه، أسوةً بنبيِّهم ﷺ، فكلُّ قاصدٍ يتَّجه لمقصوده: فمن دعا الله يتَّجه إلى السَّماء لأنَّ الله فيها، ومن دعا الأصنام يتَّجه إليها، ومن دعا القبور يتَّجه إليها.

فبناءً على ذلك، قولُه إنَّ السَّماء قبلة الدعاء بالمعنى الذي فسره باطلٌ مردود، ولا دليل عليه.

ومن النُّصوصِ أيضًا ما قالهُ النَّبيُّ ﷺ: "...ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّماءِ، يا رَبِّ، يا رَبِّ، ومَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ، وغُذِيَ بالحَرامِ، فأَنَّى يُسْتَجابُ لذلكَ؟!" فإنَّ النبيَّ ﷺ ذكر من حال هذا الرجل أنَّهُ يمدُّ يديه إلى

السَّماء فيقول: «يا ربِّ، يا ربِّ»، ولو لم يكن الله في السَّماء لما رفع يديه إليه، ولا أَتبعَ ذلك بقولهِ: «يا ربِّ، يا ربِّ».

ومن النُّصوص أيضًا ما قالهُ النَّبيُّ ﷺ: "إنَّ ربَّكم حييٌّ كريمٌ يستحيي من عبدِه أن يرفعَ إليه يدَيْه فيرُدَّهما صِفرًا، أو قال خائبتَيْن." [1] فذكَرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ العبدَ يرفع يديه إلى اللهِ عزَّ وجل في اتِّجاه السَّماء، إذ أسندَ الضَّمير إليه، لا لأنَّ السَّماء قبلةُ الدُّعاء.

ومن الأدلَّة أيضًا ما قاله ابنُ عَبَّاسٍ رضيَ الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ." [2]

[1] [صحيح ابنُ ماجه]

[2] [صحيح البخاري]

فلم يرفَع النَّبيُّ ﷺ رأسَهُ إلى السَّماء إلَّا وأتبع ذلك بقولهِ: «اللهمَّ هل بلَّغت؟»، وهذا ليس بدعاءٍ من حيث الأَصل، وإنَّما هو إشهادٌ، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ يُشهِدُ ربَّهُ على ما بلَّغ أُمَّتَهُ، ولذلكَ توجَّه إلى السَّماء، لأنَّه فيهَا.

قَال ابن تيميَّة: "فَالْعِلْمُ بِذَلِكَ اضْطِرَارِيٌّ، فَإِنَّ بَنِي آدَمَ مَفْطُورُونَ عَلَى أَنْ لَا يَتَوَجَّهُوا بِقُلُوبِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ إِلَى غَيْرِ الْجِهَةِ الْعَالِيَةِ، وَلَا يَقْصِدُوا اللَّهَ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ، وَيَمُدُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى تِلْكَ الْجِهَةِ السَّافِلَةِ." [1]

الوَجه الثَّالث: لو كانت السَّماء قبلةَ الدُّعاء كما أنَّ الكعبة قبلةَ الصَّلاة، لما صحَّ دعاءُ عبدٍ إلَّا في جهة السَّماء، فمن صلَّى لغير القبلة = بطلت صلاتُهُ ولم تصحَّ، وهذا باتِّفاق العلماء.

وبناءً على هذا، فإنَّ من دعا الله في غير جهة السَّماء يكون دعاؤه مردودًا وغير صحيح؛ كَمن دعا الله وهو ساجدٌ، فدعاؤه مردودٌ عليه وليس بصحيحٍ، وهذا لم يقله أحدٌ من العقلاء، فضلاً عن أن يقول به عالمٌ.

[1] [بيان تلبيس الجهميَّة]

وقد أمرنا الله باستقبال القبلة عند الشُّروع في الصَّلاة وجوبًا، لأنَّها قبلة الصَّلاة، ولا تصحُّ الصَّلاة إلَّا باستقبالها، فهل أمرنا اللهُ باستقبال السَّماء عند الشَّروع في الدُّعاء وجوبًا لأنَّها قبلة الدعاء، ولا يصحُّ الدُّعاء إلا باستقبالها؟

قال ابن تيميَّة: "قَال الله: ﴿وَللهَّ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهَّ إِنَّ اللهَّ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فَأَخْبَرَ أَنَّ الْعَبْدَ حَيْثُ اسْتَقْبَلَ فَقَدْ اسْتَقْبَلَ قِبْلَةَ اللهَّ لِيُبَيِّنَ أَنَّهُ حَيْثُ أَمَرَ الْعَبْدَ بِالِاسْتِقْبَالِ وَالتَّوْلِيَةِ فَقَدِ اسْتَقْبَلَ وَوَلِيَ قِبْلَةَ اللهَّ وَوُجْهَتَهُ، وَلِهَذَا ذَكَرُوا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ فِيمَا لَا يَتَعَيَّنُ فِيهِ اسْتِقْبَالُ الْكَعْبَةِ، كَالْمُتَطَوِّعِ الرَّاكِبِ فِي السَّفَرِ، فَإِنَّهُ يُصَلِّي حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، وَالْعَاجِزُ الَّذِي لَا يَعْلَمُ جِهَةَ الْكَعْبَةِ، أَوْ لَا يَقْدِرُ عَلَى اسْتِقْبَالِ الْكَعْبَةِ، فَإِنَّهُ يُصَلِّي بِحَسَبِ إِمْكَانِهِ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ أَمْكَنَ، وَذَكَرُوا أَيْضًا أَنَّهُ نَسَخَ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ تَسْوِيغِ الِاسْتِقْبَالِ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، كَمَا كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ النَّسْخِ، وَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الْقِبْلَةِ الْمَعْرُوفَةِ لِلصَّلَوَاتِ الَّتِي يَجِبُ فِيهَا اسْتِقْبَالُ قِبْلَةٍ مُعَيَّنَةٍ فِي الْفَرِيضَةِ وَفِي التَّطَوُّعِ فِي الْمَقَامِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي قِبْلَةِ الدُّعَاءِ أَوْلَى وَأَحْرَى، فَإِنَّ الدُّعَاءَ لَا يَجِبُ فِيهِ اسْتِقْبَالُ قِبْلَةٍ مُعَيَّنَةٍ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ الْمَعْرُوفَةَ، وَلَا أَنْ يَرْفَعَ يَدَيْهِ لَا عِنْدَ مَنْ يَقُولُ إِنَّ السَّمَاءَ وَالْعَرْشَ قِبْلَةُ الدُّعَاءِ، وَلَا عِنْدَ مَنْ لَا يَقُولُ بِذَلِكَ." [1]

[1][بيان تلبيس الجهميَّة]

وقَال الإِمَام العمرانيُّ الشَّافعيُّ ردًّا على الغزاليِّ: "هذَا تمويهٌ منه ومُعَانَدة لمَا وَرَدَ بِهِ القُرآنَ والسُّنَّة ومَا عليهِ الصَّحابَة والتَّابِعين، وَأَمَّا قَوْلُهُ -أي الغزاليُّ-: «إِنَّ السَّمَاءَ قِبْلَةُ الدُّعَاءِ»، فَيُقَالُ لَهُ: لَوْ كَانَ هَذَا كَمَا قُلْتَ لَمْ يَصِحَّ الدُّعَاءُ إِلَّا لِمَنْ تَوَجَّهَ بِيَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ كَمَا لَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ إِلَّا لِمَنْ تَوَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ." [1]

الوجه الرَّابع: وهو من قولِ مشهورٍ ذاته، فإنَّهُ قال: «السَّماء أشرف الجهات»، وأنا أقرُّه على ذلك، فإنَّ السَّماء أشرف الجهات، وكونها أشرفُ الجهات، يلزمُ من ذلك اختصاصَ الله عزَّ وجلَّ بها لنفسه، وهو حقٌّ، فَلم يرتضِ اللهُ لنفسه جهةً غيرها، فليس هو في جهةِ اليمينِ، أو الشِّمال، أو الأسفل، وإنَّما هو في أشرفِ الجهات، وهي جهة العلوِّ سبحانه.

ولذلكَ فطر اللهُ عباده على أن يتوجَّهوا إلى السَّماء إذا أرادوا أن يدعوه، وأمَّا على كلام مشهور، فإنَّه ينبغي عليه أن يقول: يجوزُ للمسلمِ أن يتوجَّه إلى جهة السُّفل عند دعاء الله عزَّ وجل، فينزل يديه إلى الأرضِ ويتوجَّه ببصره إليها، أو يتوجَّه إلى جهة اليمينِ أو الشَّمال، لأنَّ السَّماء قبلة الدُّعاء، والجهة منفكَّة." وإنَّه ليعلمُ جميع العقلاء بطلانُ ذلك.

[1] [الانتصار في الرَّدِّ على المعتزلة القدريَّة الأشرار]

قال ابن تيميَّة:" وَإِذَا كَانَ هَذَا لَازِمًا اقْتَضَى جَوَازَ الْإِشَارَةِ فِي الدُّعَاءِ إِلَى غَيْرِ فَوْقٍ، فَيَجِبُ أَنْ تَجُوزَ الْإِشَارَةُ بِالْأَيْدِي حِينَ الدُّعَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَالتَّيَامُنِ، وَالتَّيَاسُرِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُ مَنْ حَكَى إِجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ وَعَلَى تَخْطِئَةِ مَنْ يُجَوِّز ذلك." [1]

الوَجهُ الخامس: عندما يتوجَّه المسلمون في دعائهم إلى السَّماء فإنهم يتوجَّهون إلى ذاتِ الله تعالَى، لا إلى ذاتِ السَّماء، وهذا عكس ما يفعلونهُ عندما يتوجَّهون إلى الكعبة، فإنهم يتوجَّهون في صلاتهم إلى ذاتِ الكعبة، لأنَّ الله أمرهم بالصَّلاة إليها، فلَا تصحُّ صلاتهم إلَّا باستقبالها، فهم يتوجَّهون إلى ذاتِ الكعبة، لا إلى ذاتِ الله في صلاتهم، لأنَّ الله ليس عند الكعبةِ قطعًا، فكيف يصحُّ كلامه بأنَّ السَّماء قبلة الدُّعاء كما أنَّ الكعبة قبلة الصلاة ونحن نتوجَّه إلى ذاتِ الكعبة عند الصَّلاة ولا نتوجَّه إلى ذات السَّماء عند الدُّعاء؟ تنبَّه إلى هذا، فإنَّهُ دقيقٌ.

الوَجهُ السَّادس: إن كانت السَّماء قبلة الدُّعاء، فلماذا يَحرُم أو يُكرهُ للمصلِّي أن يرفعَ نظره إلى السَّماء في صلاته؟ فقد جاءت الأحاديثُ التي تنهى عن ذلك نهيًا شديدًا، وهي

[1][بيان تلبس الجهميَّة]

مشهورةٌ معروفةٌ، فلو كانت السَّماء قبلة الدُّعاء لما نُهِيَ عن ذلك، فإنَّ الصَّلاة كلَّها دعاءٌ وذكرٌ وتسبيحٌ ونحو ذلك.

فهذه ستَّة أوجهٍ كافية، وقد تركتُ غيرها واكتفيتُ بها لما فيها من تبيينٍ للمقصودِ وزيادة، والله الموفِّق إلى سبيل الرَّشاد.



هل صفاتُ اللهِ حقيقيَّة؟

قالَ مشهور فوَّاز: "هنالكَ صفات ذكرت في القرآنِ الكريم والأحاديث النَّبويَّة، ولكنَّها ليست حقيقيَّة، مثال: ذُكِرَ في القرآن أنَّ لله يد، كقولهِ تعالى: ﴿يدُ اللهِ فوقَ أيديهِم﴾ هذه ليسَت يدٌ حقيقيَّة، محدا يقول لله يد حقيقيَّة، لله سمعٌ حقيقي، لله بصرٌ حقيقي، لله علمٌ حقيقي، محدَا يقول لله يدٌ حقيقيَّة، لا يجوز ذلك، طب ماذا نقول؟ نقول: أهل السُّنَّة لهم قولان في المسألة: إمَّا أن تفوِّض، وإمَّا أن تؤوِّل، التَّفويض أن تقول: للهِ يدٌ الله أعلم بمعناها، الله أعلم بمعناها، ولكن قطعًا لا يرادُ بها اليد الظَّاهرة، المعروفة لدى البشر، يدٌ لا نعلم معناها، لا يُمكن أن نعقل معناها، لا يُمكن أن نتصوَّر معناها، نعتبرها من الآيات المتشابهة، التي لا يُدرك معناها، وهذا منهجُ السَّلف، أن تقول: لله يدٌ الله أعلم بمعناها، لا نعلم معناها، لا أحد يعلم معناها، يدٌ ليس معقولة المعنى، ليست معقولة المعنى، لا نعرف المعنى، معرفش المعنى، هذا منهجُ السَّلف، اسمهُ منهجُ التَّفويض، تفويضُ المعنى لله سبحانه وتعالى، الله أعلم بالمعنى، طيب، هل معناهَا المتبادر إلى ذهنك؟ لا، قطعًا لا، لا، قطعًا، هل هي اليد معقولة المعنى؟ لا ليست معقولة المعنى، هل يستطيع أحد أن يفهم معنى اليد؟ قطعًا لا يستطيع أحد أن يفهم معنى اليد، إذًا ماذا نقول؟ إمَّا أن

تسكت، وتمرُّها كما جاءت، وتقول الله أعلم بالمعنى، الله أعلم بالمراد، قراءتهَا تفسيرهَا، هذا منهجُ السَّلف، وإمَّا أن تتأوَّلها، أن تقول مثلًا: يدُ اللهِ فوق أيديهِم، المراد، المرادُ بذلك أنَّ اليد يد القُدرة، اليدُ يد القدرة، وليست يد الجارحة، وهذا اتِّفاقًا ليست يد الجارحة، اليد يدُ القُدرة، هذا منهجُ الخلف، اذًا، قال الإمام اللَّقانيُّ رحمهُ الله في جوهرةِ التَّوحيد: وكلُّ نصٍّ أوهمَ التَّشبيها، أو فوِّضهُ، ورم تنزيهَا" ...فلذلك الكلُّ متَّفق أنَّ لا يُراد بذلك ظاهر اللَّفظ، لا يرادُ بذلك أنَّ لله يد جارحة، كما قالت المُجسِّمة، قطعًا لا."[1]

هذَا كلامهُ بتمامهِ، ونلخِّص كلامه في نقاطٍ عدَّة ليسهل فهمهُ والرَّدُّ عليهِ:

١- النُّقطةُ الأُولى: ليسَت كلُّ صفات الله حقيقيَّة، فلله علمٌ حقيقيٌّ، وسمعٌ حقيقيٌّ، وبصرٌ حقيقيٌّ، ولكن ليس لهُ يدٌ حقيقيَّة.

٢- النُّقطة الثَّانية: التَّفويض هو منهجُ السَّلف، والتَّأويل هو منهجُ الخَلف، وكلاهمَا يتبعان لأهل السُّنَّة.

[1]- 12:30-17:20

٣- النُّقطة الثَّالثة: آياتُ الصِّفات من الآيات المُتشابهة.

٤- النُّقطة الرَّابعة: لا يُفهم من آيات الصِّفات ظاهر اللَّفظ، هذَا ليس منهج أهل السُّنَّة، وإنَّما هو منهج المُجسِّمة.

هذه النِّقاط الأربع تلخيصٌ لكلامِهِ، وعليهَا يدورُ النِّقاش.

~ الجَوابُ عن النُّقطةِ الأُولَى:

أمَّا الجوابُ عن النُّقطةِ الأُولَى فإنَّهُ يكون من وجهينِ:

الوجهُ الأوَّل: تقدَّم قولنَا وتأصيلنَا بأنَّ العقيدة الإسلاميَّة تؤخذ من القرآن والسُّنَّة بفهمِ سلفِ الأُمَّة من الصَّحابة والتَّابعين ومن تبِعَهُم، يقولُ الله جلَّ جلالهُ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ وقال سبحانهُ: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وقال النَّبيُّ ﷺ: "فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ."، وقال ﷺ: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ يَتَسَمَّنُونَ يُحِبُّونَ السِّمَنَ يُعْطُونَ الشَّهَادَةَ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلُوهَا." [1]

[1][مسند أحمد]

فإنَّ هذه النُّصوص وغيرهَا ترشدُنَا إلى اتِّباع السَّلف رضوان الله عليهِم والتَّمسُّك بأصولهِم وأقوالهِم وطرح ما خالفهَا، فإنَّ النَّجاة كلَّ النَّجاة في اتِّباع سبيل المؤمنين الذي حذَّر اللهُ عزَّ وجلَّ عبادهُ من أن يتَّبعوا غير سبيلهُ.

وإنَّ أحقَّ ما يُتَّبعوا فيهِ مَا جاء في أصولِ الدِّيانة والشَّرائع، ومَا شهدوا تنزيلهُ والإخبار به على لسانِ النَّبيِّ ﷺ فيمَا يتعلَّق بصفاتِ ربِّنَا سبحانهُ، فلا تُؤخذ أُصول الدِّيانة والعقَائد وصفات الحيِّ القيُّوم من كتبِ الفلاسفةِ والمتكلِّمين ومن تفرَّع عنهم، ولا تُحاكَم نصوص الشَّريعة إلى عُقولِ أُناسٍ لم يبلغوا عُشر مِعشَار ما كَان عليه السَّلف الصَّالح رضوان الله عليهِم، فإنَّ هذه العقيدة هي عقيدةٌ إسلاميَّة، نزَل بها جبريلٌ، وأخبرهَا لرسولِ الله ﷺ، فقَام رسولُ الله ﷺ بتبليغِ الرِّسالة على أحسنِ ما يكون، فأخذ منهُ الصَّحابة رضي الله عنهُم علوم الشَّرائع، فعقلوهَا، وحفظوهَا، وأدُّوهَا كما سمعوهَا، فرضيَ الله عنهُم أجمعين.

قالَ ابنُ القيمِ واصفًا لهم: «فَلَا رَيْبَ أَنَّهُمْ -الصَّحابة- كَانُوا أَبَرَّ قُلُوبًا، وَأَعْمَقَ عِلْمًا، وَأَقَلَّ تَكَلُّفًا، وَأَقْرَبَ إِلَى أَنْ يُوَفَّقُوا فِيهَا لِمَا لَمْ نُوَفَّقْ لَهُ نَحْنُ؛ لِمَا خَصَّهُمْ اللهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ تَوَقُّدِ الْأَذْهَانِ، وَفَصَاحَةِ اللِّسَانِ، وَسَعَةِ الْعِلْمِ، وَسُهُولَةِ الْأَخْذِ، وَحُسْنِ الْإِدْرَاكِ وَسُرْعَتِهِ،

وَقِلَّةِ الْمُعَارِضِ أَوْ عَدَمِهِ، وَحُسْنِ الْقَصْدِ، وَتَقْوَى الرَّبِّ تَعَالَى؛ فَالْعَرَبِيَّةُ طَبِيعَتُهُمْ وَسَلِيقَتُهُمْ، وَالْمَعَانِي الصَّحِيحَةُ مَرْكُوزَةٌ فِي فِطَرِهِمْ وَعُقُولِهِمْ، وَلَا حَاجَةَ بِهِمْ إلَى النَّظَرِ فِي الْإِسْنَادِ وَأَحْوَالِ الرُّوَاةِ وَعِلَلِ الْحَدِيثِ وَالْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، وَلَا إلَى النَّظَرِ فِي قَوَاعِدِ الْأُصُولِ وَأَوْضَاعِ الْأُصُولِيِّينَ، بَلْ قَدْ غُنُوا عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَلَيْسَ فِي حَقِّهِمْ إلَّا أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى كَذَا، وَقَالَ رَسُولُهُ كَذَا، وَالثَّانِي: مَعْنَاهُ كَذَا وَكَذَا، وَهُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهَاتَيْنِ الْمُقَدِّمَتَيْنِ، وَأَحْظَى الْأُمَّةِ بِهِمَا، فَقُوَاهُمْ مُتَوَفِّرَةٌ مُجْتَمِعَةٌ عَلَيْهِمَا.»[1]

وكلُّ من خالف طريق الصَّحابة الكرامِ في العلمِ والعمل، فقد ضلَّ وأضلَّ، وابتدعَ في دينِ الله عزَّ وجلَّ ما ليسَ منه، وكان قولهُ منقوصًا مهجورًا بقدر مُخالفتهِ لأقوالِهم، ولم يُلتفَت إلى قولِهِ قدر أُنملة، فليس بعد الحقِّ إلَّا الضَّلال المُبين.

وقَد عُلِمَ أنَّ ما ابتدعهُ الأشعريِّ في أصول الدِّيَانة ليس من هديِ النَّبيِّ ﷺ والصَّحابةِ والتَّابعين، وقَد كانت أصول الشَّريعة مُستقرَّة، معروفة، لم يختلف فيهَا السَّلف رضي الله عنهم.

[1] [إعلام الموقعين]

قَال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة: "وَأَمَّا الَّذِي أَقُولُهُ الْآنَ وَأَكْتُبُهُ - وَإِنْ كُنْت لَمْ أَكْتُبْهُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَجْوِبَتِي وَإِنَّمَا أَقُولُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ الْمَجَالِسِ - أَنَّ جَمِيعَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ آيَاتِ الصِّفَات، فَلَيْسَ عَنْ الصَّحَابَةِ اخْتِلَافٌ فِي تَأْوِيلِهَا، وَقَدْ طَالَعْت التَّفَاسِيرَ الْمَنْقُولَةَ عَنْ الصَّحَابَةِ وَمَا رَوَوْهُ مِنْ الْحَدِيثِ وَوَقَفْت مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ الْكُتُبِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ تَفْسِيرٍ فَلَمْ أَجِدْ - إلَى سَاعَتِي هَذِهِ - عَنْ أَحَدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ تَأَوَّلَ شَيْئًا مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ أَوْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ بِخِلَافِ مُقْتَضَاهَا الْمَفْهُومِ الْمَعْرُوفِ؛ بَلْ عَنْهُمْ مِنْ تَقْرِيرِ ذَلِكَ وَتَثْبِيتِهِ وَبَيَانِ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ مَا يُخَالِفُ كَلَامَ الْمُتَأَوِّلِينَ مَا لَا يُحْصِيهِ إلَّا اللَّهُ. وَكَذَلِكَ فِيمَا يَذْكُرُونَهُ آثِرِينَ وَذَاكِرِينَ عَنْهُمْ شَيْئًا كَثِيرًا." [1]

وبعدَ أن كانت هذهِ الأصول مستقرَّة في الأمَّة، خرجَ علينَا الأشعريُّ بعقيدتهِ غير المعروفةِ التي خبطَت عقائد المُسلمين، قَال ابنُ الجوزيِّ واصفًا الأشعريِّ: "وُلِدَ سَنَةَ سِتِّينَ ومِائَتَيْن، وتَشَاغَلَ بالكَلَام، وكانَ على مَذْهَبِ المُعْتَزِلَةِ زَمَانًا طَوِيلًا، ثُمَّ عَنَّ لَهُ مُخَالَفَتُهُم، وأظْهَرَ مَقَالَةً خَبطَتْ عَقَائِدَ النَّاسِ، وأوْجَبَتِ الفِتَنَ المُتَّصِلَة...، ثُمَّ تبعَ أَقْوَامٌ مِنَ

[1] [مجموعة الفتاوى]

السَّلَاطِينِ مَذْهَبَهُ فَتَعَصَّبُوا لَهُ، وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ، حَتَّى تَرَكَتِ الشَّافِعِيَّةُ مُعْتَقَدَ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَدَانُوا بِقَوْلِ الأَشْعَرِيِّ."[1]

فَقَدْ صَرَّحَ ابْنُ الجَوْزِيِّ بِأَنَّ الأَشْعَرِيَّ قَدْ أَتَى بِعَقِيدَةٍ مُبْتَدَعَةٍ لَمْ يُعْرَفْهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ قَبْل، وَلِذَلِكَ فَهْمُهُ لِنُصُوصِ الصِّفَاتِ وَفَهْمُ مَنْ تَبِعَهُ عَلَى أُصُولِهِ لَيْسَ بِحُجَّةٍ فِي أُصُولِ الدِّيَانَةِ وَالِاعْتِقَاد، لأَنَّهُ فَهْمٌ مُحْدَثٌ مُبْتَدَعٌ فِي دِينِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَقَدِ اتَّفَقَتِ الأُمَّةُ عَلَى أَنَّ للهِ جَلَّ جَلَالُهُ صِفَاتٍ حَقِيقِيَّةً نُثْبِتُهَا عَلَى الوَجْهِ اللَّائِقِ بِاللهِ دُونَ تَحْرِيف، فَنُثْبِتُ للهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، وَنَنْفِي عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَالقَوْلُ فِي الصِّفَةِ الوَاحِدَةِ كَالقَوْلِ فِي جَمِيعِ الصِّفَات، لأَنَّ ذَاتَ اللهِ وَاحِدَة، فَالقَوْلُ فِي الذَّاتِ كَالقَوْلِ فِي الصِّفَات.

قالَ الإمامُ ابن خزيمة: «فَنَحْنُ وَجَمِيعُ عُلَمَائِنَا مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ وَتِهَامَةَ وَالْيَمَنِ، وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ، مَذْهَبُنَا: أَنَّا نُثْبِتُ للهِ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ، نُقِرُّ بِذَلِكَ بِأَلْسِنَتِنَا، وَنُصَدِّقُ ذَلِكَ بِقُلُوبِنَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ نُشَبِّهَ وَجْهَ خَالِقِنَا بِوَجْهِ أَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، عَزَّ رَبُّنَا عَنْ أَنْ يُشْبِهَ الْمَخْلُوقِينَ، وَجَلَّ رَبُّنَا عَنْ مَقَالَةِ الْمُعَطِّلِينَ، وَعَزَّ أَنْ يَكُونَ عَدَمًا كَمَا قَالَهُ الْمُبْطِلُونَ، لِأَنَّ مَا لَا صِفَةَ لَهُ عَدَمٌ، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الْجَهْمِيُّونَ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ صِفَاتِ خَالِقِنَا الَّذِي وَصَفَ بِهَا

[1] [المنتظم]

نَفْسَهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ اللهُ جَلَّ ذَكَرَهُ فِي سُورَةِ الرُّومِ: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾، إِلَى قَوْلِهِ ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾، وَقَالَ: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾، وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾، وَقَالَ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى، إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾.»[1]

وقالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله: وَجِمَاعُ الْقَوْلِ فِي إثْبَاتِ الصِّفَاتِ: هُوَ الْقَوْلُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا: وَهُوَ أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، وَيُصَانُ ذَلِكَ عَنْ التَّحْرِيفِ وَالتَّمْثِيلِ وَالتَّكْيِيفِ وَالتَّعْطِيلِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، فَمَنْ نَفَى صِفَاتِهِ كَانَ = مُعَطِّلًا، وَمَنْ مَثَّلَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ مَخْلُوقَاتِهِ كَانَ = مُمَثِّلًا، وَالْوَاجِبُ إثْبَاتُ الصِّفَاتِ وَنَفْيُ مُمَاثَلَتِهَا لِصِفَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ إثْبَاتًا بِلَا تَشْبِيهٍ وَتَنْزِيهًا بِلَا تَعْطِيلٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فَهَذَا رَدٌّ عَلَى الْمُمَثِّلَةِ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رَدٌّ عَلَى الْمُعَطِّلَةِ، فَالْمُمَثِّلُ يَعْبُدُ صَنَمًا، وَالْمُعَطِّلُ يَعْبُدُ عَدَمًا.

[1] [التوحيد]

وَطَرِيقَةُ الرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللهَّ عَلَيْهِمْ: إثْبَاتُ صِفَاتِ الْكَمَالِ للهَّ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ، وَتَنْزِيهُهُ بِالْقَوْلِ الْمُطْلَقِ عَنْ التَّمْثِيلِ، فَطَرِيقَتُهُمْ «إثْبَاتٌ مُفَصَّلٌ» وَ«نَفْيٌ مُجْمَلٌ» وَأَمَّا الْمَلَاحِدَةُ مِنْ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَالْقَرَامِطَةِ وَالْجَهْمِيَّة وَنَحْوِهِمْ: فَبِالْعَكْسِ؛ نَفْيٌ مُفَصَّلٌ، وَإِثْبَاتٌ مُجْمَلٌ." [1]

وَمِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي كِتَابِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ صِفَةُ اليَدَيْنِ لله سُبْحَانَهُ، فَأَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّهَا يَدَانِ حَقِيقِيَّتَانِ تَلِيقَانِ بِجَلالِهِ وَجَمَالِهِ، لَا تُشْبِهَانِ يَدَ المَخْلُوقِينَ. فَعِنْدَمَا نُثْبِتُ اليَدَ لله، فَنَحْنُ نُثْبِتُهَا عَلَى الوَجْهِ اللَّائِقِ بِالله، لَا نُثْبِتُ يَدًا كَأَيْدِينَا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾.

قال الإمامُ حربٌ الكرمانيُّ: "هَذَا مَذْهَبُ أَئِمَّةِ الْعِلْمِ وَأَصْحَابِ الْأَثَرِ، وَأَهْل السُّنَّةِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِعُرُوقِهَا الْمَعْرُوفِينَ بِهَا، الْمُقْتَدَى بِهِمْ فِيهَا مِنْ لَدُنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَأَدْرَكْتُ مَنْ أَدْرَكْتُ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ وَالشَّامِ وَغَيْرِهِمْ عَلَيْهَا، فَمَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ، أَوْ طَعَنَ فِيهَا، أَوْ عَابَ قَائِلَهَا فَهُوَ مُخَالِفٌ مُبْتَدِعٌ خَارِجٌ مِنْ الْجَمَاعَةِ، زَائِلٌ عَنْ مَنْهَجِ السُّنَّةِ وَسَبِيلِ الْحَقِّ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَخْلَدٍ، وَعَبْد اللهَّ بْنِ الزُّبَيْرِ الْحُمَيْدِيِّ، وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ جَالَسْنَا وَأَخَذْنَا

[1][مجموع الفتاوى]

عَنْهُمْ الْعِلْمَ، فَكَانَ مِنْ قَوْلِهِمْ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ، وَتَمَسُّكٌ بِالسُّنَّةِ، وَالْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ...، وَخَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ عَلَى صُورَتِهِ." [1]

وقَال الإمام السِّجزيُّ: "أَهْلُ السُّنَّةِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَدِينُ، بِذَلِكَ وَرَدَ النَّص فِي الْكِتَابِ وَالْأَثَرِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِيَّ﴾ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَكِلْتَا يَدَيْ الرَّحْمَنِ يَمِينٌ." [2]

وقَال الأمام ابن أبي زيدٍ القيروانيُّ: "فِيمَا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ مِنْ أُمُورِ الدِّيَانَةِ، وَمِنْ السُّنَنِ الَّتِي خِلَافُهَا بِدْعَةٌ وَضَلَالَة: أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ اسْمُهُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتُ الْعُلَى ...،وَأَنَّهُ يسْمَع وَيَرَى وَيَقْبِضُ وَيَبْسُط، وَأَنَّ يَدَيْهِ مَبْسُوطَتَانِ وَالْأَرْض جَمِيعًا قَبَضَتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ." [3]

---

[1] [السُّنَّة من مسائل حرب الكرمانيِّ]

[2] [رسالة السجزيِّ إلى أهل زبيد]

[3] [الجامع في السُّنن والآداب]

وقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: "يُقَالُ لِلْجَهْمِيِّ الَّذِي يُنْكِرُ أَنَّ اللهَّ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ: كَفَرْتَ بِالْقُرْآنِ، وَرَدَدْتَ السُّنَّةَ، وَخَالَفْتَ الْأُمَّةَ، فَأَمَّا الْقُرْآنُ: فَإِنَّ اللهَّ لَمَّا أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ اللهُّ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾، وَقَالَ فِي سورَةِ الْحِجْرِ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾، فَحَسَدَ إِبْلِيسُ آدَمَ لِأَنَّ اللهَّ خَلَقَهُ بِيَدِهِ، وَلَمْ يَخْلُقْ إِبْلِيسَ بِيَدِهِ، وَلَمَّا الْتَقَى مُوسَى مَعَ آدَمَ فَاحْتَجَّا، فَكَانَ مِنْ حُجَّةِ مُوسَى لِآدَمَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: أَنْتَ أَبُونَا آدَمُ خَلَقَكَ اللهُّ تَعَالَى بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ؟ فَاحْتَجَّ مُوسَى عَلَى آدَمَ بِالْكَرَامَةِ الَّتِي خَصَّ اللهُّ بِهَا آدَمَ مِمَّا لَمْ يَخُصَّ غَيْرَهُ بِهَا مِنْ أَنَّ اللهَّ خَلَقَهُ بِيَدِهِ وَأَمَرَ مَلَائِكَتَهُ فَسَجَدُوا لَهُ، فَمَنْ أَنْكَرَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ."[1]

وَقَال الإِمامُ قوَّام السُّنَّة الأَصبهانيُّ: "وَكَذَلِكَ القَوْل فِيمَا يضارع هَذِهِ الصِّفَات كَقَوْلِه تَعَالَى: ﴿لما خلقت بيَدي﴾ وَقَوله: ﴿بل يَدَاهُ مبسوطتان﴾ وَقَوله: ﴿وَيبقى وَجه رَبك﴾ وَقَول النَّبِي ﷺ -: «حَتَّى يضع الْجَبَّار فِيهَا قدمه» وَقَوله: «إِن أحدكُم يَأْتِي بِصَدَقَتِهِ فَيَضَعهَا فِي كف الرَّحْمَن» وَقَول: «يضع السَّمَاوَات عَلَى أصْبع، وَالْأَرضين، عَلَى أصْبع»،

[1] [الشَّريعة للآجرِّي]

وأمثال هَذِهِ الْأَحَادِيث، فَإِذا تدبره متدبر، وَلم يتعصب بِأَن لَهُ صِحَة ذَلِك وَأَن الْإِيمَان وَاجِب، وَأَن الْبَحْث عَن كَيْفيَّة ذَلِك بَاطِل. وَهَذَا لِأَن الْيَد فِي كَلَام الْعَرَب تَأتي بِمَعْنى الْقُوَّة يُقَال لفُلَان يَد فِي هَذَا الْأَمر أَي: قُوَّة وَهَذَا الْمَعْنى لَا يجوز فِي قَوْله: ﴿لما خلقت بيَدي﴾ وَقَوله ﴿بل يَدَاهُ مبسوطتان﴾ لِأَنَّهُ لَا يُقَال: لله قوتان ... ، فَإِذا لم تحْتَمل الْأَوْجه التي ذكرنَا لم يبْق إِلَّا الْيَد الْمَعْلُوم كَونهَا، والمجهولة كيفيتها، وَنحن نعلم يَد الْمَخْلُوق وكيفيتها لأَنا نشاهدها ونعاينها فنعرفها، ونعلم أحوالها، وَلَا نعلم كَيْفيَّة يَد الله تَعَالَى، لِأَنَّهَا لَا تشبه يَد الْمَخْلُوق، وَعلم كيفيتها علم الْغَيْب وَلَا يعلم الْغَيْب إِلَّا الله تَعَالَى." [1]

الوَجْهُ الثَّانِي: إنَّ الْمُتَقَرِّرَ فِي القَوَاعِدِ أنَّ الشَّرِيعَةَ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ مُتَمَاثِلَيْنِ وَلَا تَجْمَعُ بَيْنَ مُخْتَلِفَيْن، وَالمُتَقَرِّرُ أَيْضًا أنَّ القَوْلَ فِي الصِّفَةِ الوَاحِدَةِ كَالقَوْلِ فِي جَمِيعِهَا. فَإِذَا أَثْبَتَ الأَشْعَرِيُّ صِفَةَ العِلْمِ وَالبَصَرِ وَالسَّمْعِ الحَقِيقِيِّ لله، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُثْبِتَ بَاقِيَ الصِّفَاتِ كَاليَدِ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لأَنَّ الأَصْلَ وَاحِد.

[1] [الحجَّة في بيان المحجَّة]

فَإِنْ قَالَ: "أَنَا أُثْبِتُ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالعِلْمَ للهِ عَلَى وَجْهٍ لَائِقٍ بِاللهِ دُونَ تَشْبِيه"، قُلْنَا: "وَنَحْنُ كَذَلِكَ، نُثْبِتُ الوَجْهَ وَاليَدَ وَغَيْرَهَا مِنَ الصِّفَاتِ عَلَى الوَجْهِ اللَّائِقِ بِاللهِ دُونَ تَشْبِيه".

فَإِنْ قُلْتَ: "إِثْبَاتِي لِليَدِ وَغَيْرِهَا مِنَ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ وَالتَّجْسِيمَ، فَلَا نَعْقِلُ مِنَ اليَدِ إِلَّا مَا كَانَ كَيَدِ المَخْلُوقِينَ"، قُلْنَا: "كَذَلِكَ إِثْبَاتُكَ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالعِلْمَ للهِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ وَالتَّجْسِيمَ، فَإِنَّنَا لَا نَعْقِلُ إِلَّا سَمْعًا وَبَصَرًا وَعِلْمًا كَسَمْعِ المَخْلُوقِ وَبَصَرِهِ وَعِلْمِهِ".

فَإِنْ قُلْتَ: "نَعَم، لِلمَخْلُوقِ سَمْعٌ وَبَصَرٌ وَعِلْم، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ كَصِفَاتِ اللهِ"، قُلْنَا: "كَذَلِكَ الأَمْرُ فِي اليَدِ وَغَيْرِهَا".

فَكُلُّ جَوَابٍ يُجِيبُ عَنْهُ فِي صِفَةِ العِلْمِ وَالسَّمْعِ وَالبَصَرِ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا فِيمَا يَنْفِيهِ مِنْ صِفَاتِ اللهِ، لِأَنَّ الأَصْلَ وَاحِد، فَتَنَبَّه لِهَذَا وَفَّقَكَ اللهُ.

~ الجوابُ عَنِ النُّقطةِ الثَّانية:

أَمَّا الجواب عن النُّقطةِ الثَّانية، فإنَّ هَذَا كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ عَلَى السَّلَفِ، سَوَاءٌ كَانَ القَائِلُ يَدْرِي أَمْ لَا، وَلِكَيْ يُعْرَفَ كَذِبُ هَذِهِ النِّسْبَةِ، لَا بُدَّ أَوَّلًا مِنْ بَيَانِ مَا هُوَ مَذْهَبُ التَّفْوِيض.

فَالتَّفْوِيضُ -بِاخْتِصَار- هُوَ إِبْطَالُ ظَاهِرِ اللَّفْظِ وَنَفْيُهُ، مَعَ تَفْوِيضِ مَعْنَاهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى. فَيَقْرَأُ القَارِئُ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، فَيَقُولُ: "لَا أَدْرِي، لَمْ أَفْهَمْ، لَا أَدْرِي مَا مَعْنَى الوَجْهِ، وَلَكِنْ قَطْعًا لَا يُرَادُ بِالآيَةِ أَنَّ للهِ وَجْهًا حَقِيقِيًّا". أَوْ يَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، فَيَقُولُ: "لَا أَدْرِي مَا مَعْنَى اسْتَوَى، اللهُ أَعْلَمُ بِالمَعْنَى، وَلَكِنْ قَطْعًا لَيْسَ هُوَ الجُلُوسَ أَوِ الاسْتِقْرَارَ أَوِ العُلُوَّ أَوِ الارْتِفَاع". أَوْ يَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، فَيَقُولُ: "اللهُ أَعْلَمُ، لَا أَدْرِي مَا مَعْنَى اليَدِ هُنَا، وَلَكِنَّهَا قَطْعًا لَيْسَتْ يَدًا حَقِيقِيَّة". وَهَكَذَا... فَهُوَ يَنْفِي المَعْنَى الظَّاهِرَ المُتَبَادِرَ إِلَى الذِّهْنِ، ثُمَّ يَقِفُ وَلَا يَضَعُ احْتِمَالَاتٍ أُخْرَى. وَهَذَا مَذْهَبُ شَرِيحَةٍ وَاسِعَةٍ مِنَ الأَشَاعِرَةِ، وَلَيْسَ هُوَ مَذْهَبَ السَّلَفِ لِأَسْبَابٍ عِدَّةٍ.

السَّبَبُ الأَوَّلُ: أَنَّ مَذْهَبَ التَّفْوِيضِ يُعَارِضُ القُرْآنَ صَرَاحَةً، فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَخْبَرَنَا أَنَّ القُرْآنَ نَزَلَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، أَيْ بِلِسَانٍ مَفْهُومٍ وَوَاضِحٍ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وَقَالَ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾، وَقَالَ: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وَقَالَ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، وَقَالَ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾، وَقَالَ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾.

وَغَيْرُ هَذِهِ مِنَ الآيَاتِ كَثِيرٍ، فَالدَّعْوَى أَنَّ فِي كَلَامِ اللهِ غُمُوضًا وَحَيْرَةً مُنَاقِضَةٌ لِمَقْصُودِ إِنْزَالِ الرِّسَالَةِ. فَإِنَّ هَذِهِ الآيَاتِ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِم. وَقَدْ يَخْفَى تَفْسِيرُ بَعْضِ الآيَاتِ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ لِجَهْلِهِمْ بِعُلُومِ الشَّرِيعَةِ، وَهَذَا وَاقِع، وَلَكِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَى أَهْلِ العِلْم. وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

فَإِنْ كُنْتَ تَجْهَلُ مَعْنَى الآيَةِ أَوْ تَفْسِيرَهَا أَوْ وَجْهَ الجَمْعِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ غَيْرِهَا، فَعَلَيْكَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى أَهْلِ العِلْم، لَا أَنْ تَدَّعِيَ أَنَّ القُرْآنَ مُبْهَمٌ غَامِضٌ فِيهِ آيَاتٌ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهَا أَحَد، ثُمَّ

تُؤَسِّس مَذْهَبًا جَدِيدًا يُرَدُّ بِهِ القُرْآنُ وَالسُّنَّةُ بِحُجَّةِ أَنَّهُمَا غَيْرُ مَفْهُومَيْن. فَهَذَا فِي الحَقِيقَةِ تَعْطِيلٌ وَتَحْرِيف.

السَّببُ الثَّانِي: يُعَارِضُ مَذْهَبُ التَّعْطِيلِ قَوْلَ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ بِأَنَّ القُرْآنَ حُجَّةٌ عَلَى النَّاسِ، وَبِأَنَّ الرَّسُولَ بَلَّغَ مَا أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى أَكْمَلِ وَجْه، وَبِأَنَّ الحُجَّةَ قَائِمَةٌ عَلَى الجَمِيع، وَبِأَنَّ الشَّرِيعَةَ مُكْتَمِلَة.

قَالَ اللهُ: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، وَقَالَ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، وَقَالَ: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، وَقَالَ: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، وَقَالَ: ﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وَقَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

وَغَيْرُهَا مِنَ الآيَاتِ كَثِير، فَمَنْ قَالَ إِنَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ غَيْرُ مَفْهُومَةٍ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى فَهْمِهَا، فَقَدِ افْتَرَى فِرْيَةً عَظِيمَة، لِأَنَّهُ بِذَلِكَ يُبْطِلُ حُجِّيَّةَ القُرْآنِ فِي صِفَاتِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ. فَيَقْرَأُ القَارِئُ قَوْلَ اللهِ وَلَا يَفْهَمُ مَعْنَاهُ، فَكَيْفَ تُقَامُ عَلَيْهِ الحُجَّةُ؟! هَذَا كَالأَصَمِّ الَّذِي لَا يَسْمَعُ، وَالأَعْمَى الَّذِي لَا يُبْصِرُ، وَمَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ فَهَلْ عَلَيْهِ حِسَابٌ يَا تُرَى؟!

السَّببُ الثَّالِث: يُعَارِضُ مَذْهَبُ التَّعْطِيلِ مَا نُقِلَ عَنِ السَّلَفِ بِكُلِّ وُضُوح، فَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّ السَّلَفَ كَانُوا يَقْرَؤُونَ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَلَا يَعْرِفُونَ مَعْنَاهَا، مَعَ أَنَّ النُّقُولَ عَنِ السَّلَفِ فِي إِثْبَاتِ مَعَانِي الصِّفَاتِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، وَلَا يَحْتَمِلُ المَقَامُ لِذِكْرِهَا كُلِّهَا. وَقَدْ سَبَقَ أَنْ نَقَلْنَا بَعْضًا مِنْ تِلْكَ الآثَارِ فِي إِثْبَاتِ العُلُوِّ وَاليَدِ وَالعَيْنِ وَغَيْرِهَا.

فَعَنْ أَيِّ سَلَفٍ يَتَحَدَّثُ هَذَا الرَّجُلُ؟! أَمْ يَا تُرَى يَتَحَدَّثُ عَنْ سَلَفِهِ مِنَ الأَشَاعِرَةِ وَالمُعْتَزِلَةِ وَالجَهْمِيَّةِ الَّذِينَ عَطَّلُوا القُرْآنَ وَالسُّنَّةَ؟ فَإِنْ كَانَ يَتَحَدَّثُ عَنْهُمْ فَهَذَا صَحِيح، وَأَمَّا إِنْ كَانَ يَتَحَدَّثُ عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فَهُوَ كَاذِب؛ وَبَيَانُ ذَلِكَ مَا نُقِلَ عَنْ مَجْمُوعِهِمْ فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ مِنْ تَفْسِيرٍ وَإِثْبَاتٍ، بَلْ وَتَكْفِيرٍ لِلْمُعَطِّلِ المُخَالِفِ.

قالَ الإمامُ أبو حنيفة: "لا ينبغي لأحَدٍ أن يَنطِقَ في اللهِ تعالى بشَيءٍ في ذاتِه، ولكِنْ نَصِفُه بما وصف سُبحانَه به نَفسَه، ولا يوصَفُ اللهُ بصفاتِ المخلوقينَ، وغَضَبُه ورضاه صفتانِ مِن صفاتِه بلا كيفٍ، وهو قَولُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، وهو يغضَبُ ويرضى، ولا يقالُ: غَضَبُه عقوبتُه، ورضاه ثوابُه، ونَصِفُه كما وَصَف نفسَه." [1]

فَهُنَا قَدْ مَيَّزَ الإِمَامُ بَيْنَ صِفَةِ الغَضَبِ وَصِفَةِ الرِّضَا، فَفَسَّرَهُمَا عَلَى مَعْنَاهُمَا الحَقِيقِيِّ دُونَ التَّعَرُّضِ لِلكَيْفِ، وَهَذَا يُخَالِفُ مَنْهَجَ التَّفْوِيضِ الَّذِي يُؤَصِّلُ عَلَى تَفْوِيضِ المَعْنَى نَفْسِهِ إِلَى اللهِ، فَلَا يَعْرِفُونَ الفَرْقَ بَيْنَ الرِّضَا وَالغَضَبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ فِي أَصْلِ أَمْرِهِمْ لَا يُقِرُّونَ بِمَعَانِي هَذِهِ الصِّفَاتِ.

وقَال الإمامُ عبد الله: حَدَّثَنِي أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ، نا سُرَيْجُ بْنُ النُّعْمَانِ، نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ، قَالَ: كَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَقُولُ: (الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ.) وَيَقُولُ: (كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى.) وَقَالَ مَالِكٌ: (اللَّهُ فِي السَّمَاءِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَا يَخْلُو مِنْهُ شَيْءٌ.) [2]

---

[1] [جلاء العينين]

[2] [السُّنَّة]

وَهَذِهِ مُمَايَزَةٌ ظَاهِرَةٌ شَدِيدَةُ الْوُضُوحِ مِنَ الإِمَامِ مَالِكٍ بَيْنَ صِفَةِ الْعُلُوِّ وَالْكَلَامِ وَالْعِلْمِ للهِ سُبْحَانَهُ، وَكُلُّ مَا سَيَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ جِنْسِ هَذَا، وَهُوَ يُعَارِضُ مَذْهَبَ التَّفْوِيضِ مُعَارَضَةً شَدِيدَةً.

وعَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى قال: "سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: للهِ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ لَا يَسَعُ أَحَدًا رَدَّهَا، وَمَنْ خَالَفَ بَعْدَ ثُبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَأَمَّا قَبْلَ قِيَامِ الْحُجَّةِ فَإِنَّهُ يُعْذَرُ بِالْجَهْلِ لِأَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ بِالْعَقْلِ وَلَا الرُّؤْيَةِ وَالْفِكْرِ، فنثبت هَذِهِ الصِّفَاتُ وَنَنْفِي عَنْهُ التَّشْبِيهَ كَمَا نَفَى عَنْ نَفْسِهِ." [1]

وقال أبو نعيم الأصبهانيُّ: "حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ حَيَّانَ، ثنا أَبُو عَبْدِ اللهِ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ الْمَكِّيُّ، ثَنَا ابْنُ بِنْتِ الشَّافِعِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ: "نَظَرْتُ فِي دَفَّتَيِ الْمُصْحَفِ فَعَرَفْتُ مُرَادَ اللهِ تَعَالَى فِيهِ إِلَّا حَرْفَيْنِ، وَاحِدًا مِنْهُمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}، فَإِنِّي لَمْ أَجِدْهُ." [2]

---

[1][اجتماع الجيوش الإسلامية]

[2][حلية الأولياء]

وقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ الْكَوْسَجُ رَحِمَهُ اللهُ: "قُلْتُ لِأَحْمَدَ ابْن حَنْبَل: يَنْزِلُ رَبُّنَا تبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، أَلَيْسَ تَقُولُ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ؟ وَيَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، يَعْنِي رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، وَاشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى وَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ، وَإِنَّ مُوسَى لَطَمَ مَلَكَ الْمَوْتِ، قَالَ أَحْمَدُ: كُلُّ هَذَا صَحِيحٌ، قَالَ إِسْحَاقُ: هَذَا صَحِيحٌ، وَلَا يَدَعُهُ إِلَّا مُبْتَدِعٌ أَوْ ضَعِيفُ الرَّأْيِ." [1]

وعن أَبِي يُونُس سُلَيْمُ بْنُ جُبَيْرٍ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهَ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهَ ﷺ يَقْرَؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعَيْهِ، قَالَ ابْنُ يُونُسَ: قَالَ الْمُقْرِي: يَعْنِي إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ يَعْنِي: أَنَّ للهِ سَمْعًا وَبَصَرًا، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَهَذَا رَدٌّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ." [2]

---

[1] [مسائل أحمد بن حنبل برواية إسحاق]

[2] [سنن أبي داوود]

وقَالَ ابن عبدِ البَرِّ: "أهلُ السُّنة مجمِعُون على الإقرار بالصِّفاتِ الواردةِ كلِّها في القرآنِ والسُّنة، والإيمان بها، وحَمِلِها على الحقيقةِ لا على المجاز، إلّا أنّهم لا يُكيِّفون شيئًا من ذلك، ولا يَحُدُّون فيه صفَةً محصورةً، وأمّا أهلُ البِدعِ والجهميّةُ والمعتزِلَةُ كلُّها والخوارجُ، فكُلُّهم يُنكِرُها، ولا يحمِلُ شيئًا منها على الحقيقة، ويزعُمون أنَّ مَن أقَرَّ بها مُشَبِّهٌ، وهم عندَ من أثبَتَها نافُون للمعبود، والحقُّ فيما قاله القائلون بما نطَق به كتابُ الله، وسُنَّةُ رسولِه، وهم أئمَّةُ الجماعة، والحمدُ لله." [1]

وقَالَ الإِمَام الْأَصْبَهَانِيُّ عندما سُئِلَ عَن صِفَات الرب فَقَالَ: "مَذْهَب مَالك وَالثَّوْري وَالْأَوْزَاعِيّ وَالشَّافِعِيّ وَحَمَّاد ابْن سَلمَة وَحَمَّاد بن زيد وَأحمد وَيحيى بن سعيد الْقطَّان وَعبد الرَّحْمَن بن مهْدي وَإِسْحَاق بن رَاهَوَيْه أَن صِفَات الله الَّتِي وصف بهَا نَفسه وَوَصفه بهَا رَسُوله من السّمع وَالْبَصَر وَالْوَجْه وَالْيَدَيْنِ وَسَائِر أَوْصَافه إِنَّمَا هِيَ على ظَاهرهَا الْمَعْرُوف الْمَشْهُور من غير كَيفَ يتَوَهَّم فِيهَا، وَلَا تَشْبِيه، وَلَا تَأْوِيل، قَالَ ابْن عُيَيْنَة: كل شَيْء وصف الله بِهِ نَفسه فقراءته تَفْسِيره، ثمَّ قَالَ أَي هُوَ هُوَ على ظَاهره، لَا يجوز صرفه إِلَى الْمجَاز بِنَوْع من التَّأْوِيل." [2]

---

[1][التَّمهيد]

[2][العلوُّ للعليِّ الغفَّار]

فَالسَّلَفُ بَعِيدُونَ كُلَّ الْبُعْدِ عَنْ مَذْهَبِ التَّفوِيْض، وَمَنْ ادَّعَى أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ هُوَ مَذْهَبُ التَّفْوِيض فَقَدْ كَذَبَ وَافْتَرَى، وَعَلَيْهِ مِنَ اللهِ مَا يَسْتَحِقُّ.

وَأَمَّا التَّأْوِيلُ، فَهُوَ صَرْفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى مَعْنًى آخَرَ لِدَلِيلٍ يَقْتَضِيهِ، وَهَذَا مِنْ حَيْثُ الأَصْلِ، وَلَكِنَّ الحَقِيقَةَ أَنَّ التَّأْوِيلَ الحَاصِلَ عِنْدَ المُتَكَلِّمِينَ هُوَ صَرْفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى مَعْنًى آخَرَ دُونَ دَلِيل.

فَيَقْرَأُ القَارِئُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، فَيَقُولُ: "الاسْتِوَاء هُنَا بِمَعْنَى الاسْتِيلَاء"، أَوْ يَقْرَأُ قَوْلَ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، فَيَقُولُ: "اليَدُ هُنَا بِمَعْنَى القُدْرَةِ أَوِ النِّعْمَةِ"، وَهَكَذَا...، فَيَصرِفُونَ مَعْنَى الآيَةِ عَنْ ظَاهِرِهَا إِلَى مَعْنًى آخَرَ دُونَ دَلِيل لِمُجَرَّدِ أَنَّهَا تُوهِمُ التَّشْبِيهَ وَالتَّجسِيمَ، وَبِذَلِكَ يَبْنُونَ عَلَى عَقْلِهِمْ الفَاسِدِ.

وَيَتَّفِقُ مَذْهَبُ التَّفْوِيضِ مَعَ التَّأْوِيلِ فِي نَفْيِ ظَاهِرِ اللَّفْظِ، فَلَا يُثْبِتُونَ صِفَاتِ اللهِ كَمَا وَرَدَتْ، بَلْ يَنْفُونَهَا، وَلَكِنَّ القِسْمَ الأَوَّلَ -التَّفْوِيض- لَا يُثْبِت مَعْنًى آخَرَ، بَلْ يَتْرُكُ المَعْنَى

مَجْهُولًا، وَالقِسْمُ الثَّانِي يُثْبِت مَعْنًى آخَرَ يَتَوَافَقُ مَعَ قَوَاعِدِهِ الكَلَامِيَّةِ، وَهَذَا مَذْهَبُ شَرِيحَةٍ وَاسِعَةٍ مِنَ الأَشَاعِرَةِ أَيْضًا.

وَمَذْهَبُ التَّأْوِيلِ بَاطِلٌ لِأَسْبَابٍ عِدَّةٍ:

السَّبَبُ الأَوَّل: يَطْعَنُ مَذْهَبُ التَّأْوِيلِ فِي القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ شَكْلًا مُبَطَّنًا، فَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّ ظَوَاهِرَ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ تَجْسِيمٌ وَتَشْبِيهٌ، أَيْ: كُفْرٌ، لأَنَّ التَّشْبِيهَ وَالتَّجسِيمَ كُفْرٌ عِنْدَهُمْ. وَهَذَا مَا صَرَّحَ بِهِ بَعْضُ أَئِمَّتِهِمْ كَالسَّنُوسِيِّ وَالصَّاوِيِّ، فَقَالَ الصَّاوِيُّ: "الأَخْذُ بِظَوَاهِرِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أُصُولِ الكُفْرِ."[1]، وَقَالَ السَّنُوسِيُّ: "أُصُولُ الكُفْرِ سِتَّةٌ: ... التَّمَسُّكُ فِي أُصُولِ العَقَائِدِ بِظَوَاهِرِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ غَيْرِ بَصِيرَةٍ فِي العَقْلِ وَهُوَ أَصْلُ ضَلَالِ الحَشَوِيَّةِ."[2]

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَضْطَرُّ الأَشْعَرِيُّ إِلَى تَأْوِيلِ ظَوَاهِرِ هَذِهِ الآيَاتِ، لأَنَّهَا بِظَنِّهِ تُوهِمُ التَّشْبِيهَ وَالتَّجسِيمَ، وَهَذَا كُفْرٌ عِنْدَهُ، وَحَسْبُكَ بِذَلِكَ مِنْ ضَلَالٍ.

---

[1] [حَاشِيَةُ الصَّاوِيِّ عَلَى تَفْسِيرِ الجَلَالَيْنِ]

[2] [شَرْحُ أُمِّ البَرَاهِين]

السَّببُ الثَّانِي: يَطْعَنُ مَذْهَبُ التَّأْوِيلِ فِي قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى عَلَى تَبْيِينِ كَلَامِهِ بِشَكْلٍ صَرِيحٍ، فَهُوَ يُصَرِّفُ كُلَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ عَنْ ظَاهِرِهَا لِأَنَّهَا تُوْهِمُ التَّشْبِيهَ، وَكَأَنَّ اللهَ قَدْ خَاطَبَنَا بِشَيْءٍ يُوْهِمُنَا وَيُشَكِّكُنَا فِيهِ، وَبِصِفَاتِهِ. وَكَأَنَّ اللهَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ بَدَلَ اسْتَوَى: اسْتَلَى، أَوْ بَدَلَ "بِيَدَيَّ": "بِقُدْرَتِي". فَلِمَاذَا يَنْزِلُ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ آيَاتٍ تُوْهِمُ الْكُفْرَ وَالتَّشْبِيهَ، وَكَفَّارُ قُرَيْشٍ يَتَرَبَّصُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَيَنْتَظِرُونَ أَدْنَى شُبْهَةٍ لِيَطْعَنُوا فِيهِ؟ وَأَيْنَ غَابَتْ عَنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ هَذِهِ الشُّبْهَةُ؟

السَّببُ الثَّالِث: طَالَمَا أَنَّ مَذْهَبَ التَّأْوِيلِ هُوَ مَذْهَبُ الْخَلْفِ –وَلَيْسَ كَذَلِكَ– كَمَا اعْتَرَفَ مَشْهُور، فَمَا لَنَا وَمَالُهُ؟ وَلِمَاذَا نَتْرُكُ مَذْهَبَ السَّلَفِ وَنَلْحَقُ بِمَذْهَبِ الْخَلْفِ؟ أَلَا يَكُونُ لَنَا فِي السَّلَفِ أُسْوَةٌ نَقْتَدِي بِهَا وَنَتَّبِعُ آثَارَهُمْ؟ فَطَالَمَا أَنَّ التَّأْوِيلَ مَذْهَبُ الْخَلْفِ وَهُوَ يُخَالِفُ مَذْهَبَ السَّلَفِ، فَلَا يَهُمُّنَا وَلَا يَجِبُ أَنْ نَلْتَفِتَ إِلَيْهِ.

السَّببُ الرَّابع: يُخَالِفُ مَذْهَبُ التَّأْوِيلِ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي بَابِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَلَا يَكُونُونَ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ.

يقولُ الإمامُ أبو عثمان الصَّابونيُّ: "يثبت أهل السُّنَّة والجماعة جميع الصِّفات الواردة في الكتاب والسُّنَّة إثباتًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه من غير تمثيل أو تكييف أو تعطيل أو تحريف، ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه، فيقولون: إنَّه خلق آدم بيديه، كما نصَّ سبحانه عليه في قوله عزَّ من قائل: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، ولا يحرِّفون الكلم عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين أو القوَّتين كتحريف المعتزلة والجهميَّة أهلكهم الله." [1]

وقَال الإمامُ الدَّارميُّ في نقضهِ على المِّريسيِّ: "وَقَدِ ادَّعَى الْمِرِيسِيُّ أَيْضًا وَأَصْحَابُهُ أَنَّ يَدَ اللهَّ نِعْمَتُهُ، قُلْتُ لِبَعْضِهِمْ إِذًا يَسْتَحِيلُ فِي دَعْوَاكُمْ أَنْ يُقَالَ: خَلَقَ اللهَُّ آدَمَ بِنِعْمَتِهِ، أم قَوْله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أنعمتان مِنْ أَنْعُمِهِ قَطُّ مَبْسُوطَتَانِ؟ فَإِنَّ أَنْعُمَهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، أَفَلَمْ يَبْسُطْ مِنْهَا عَلَى عِبَادِهِ إِلَّا ثِنْتَيْنِ وَقبض عَنْهُم من مَا سِوَاهُمَا فِي دَعْوَاكُمْ؟ فَحِينَ رَأَيْنَا كَثْرَةَ نِعَمِ اللهَّ الْمَبْسُوطَاتِ عَلَى عِبَادِهِ ثُمَّ قَالَ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ عَلِمْنَا أَنَّهَا بِخِلَافِ مَا ادَّعَيْتُمْ، وَوَجَدْنَا أَهْلَ الْعِلْمِ مِمَّنْ مَضَى يَتَأَوَّلُونَهَا خِلَافَ مَا تَأَوَّلْتُمْ، وَمَحَجَّتُهُمْ أَرْضَى، وَقَوْلُهُمْ أَشْفَى."

---

[1] [شرح عقيدة السَّلف وأصحاب الحديث]

وقَال: "أَرَأَيْتُمْ إِذَا تَأَوَّلْتُمْ أَنَّ يَدَ اللهَّ نِعْمَتُهُ أَفَيَحْسُنُ أَنْ تَقُولُوا فِي قَوْلِ رَسُولِ اللهَّ ﷺ: «يطوي الله السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أَنَّهُ يطويها بنعمته؟ أَمْ قَوْلُهُ: «الْمُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ» وَكِلْتَا نِعْمَتَيِ الرَّحْمَنِ نِعْمَةٌ وَاحِدَةٌ؟ هَذَا أَقْبَحُ مُحَالٍ وَأَسْمَجُ ضَلَالٍ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ ضَحِكَةٌ وَسُخْرِيَةٌ مَا سَبَقَكُمْ إِلَى مِثْلِهَا أَعْجَمِيٌّ أوعربي، أَمْ قَوْلُ رَسُولِ اللهَّ ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدَيِ اللهَّ قَبْلَ يَدَيِ السَّائِلِ» أَنَّهَا تَقَعُ فِي نِعْمَتَيِ اللهَّ؟ أَمْ قَوْلُ أَبِي بكر الصّديق وَرَضي اللهَّ عَنْهُ: خَلَقَ اللهَّ الْخَلْقَ فَكَانُوا فِي قَبْضَتِهِ أَيْ نِعْمَتِهِ قَالَ لِمَنْ فِي نِعْمَتِهِ الْيُمْنَى»، "ادْخُلُوا الْجَنَّةَ وَقَالَ لِمَنْ فِي نِعْمَتِهِ الْأُخْرَى: ادْخُلُوا النَّارَ؟!" أَمْ قَول ابْن عمر: خَلَقَ اللهَّ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْأَشْيَاءِ: كُنْ فَكَانَ أَفَيَجُوزُ أَنْ تَقُولوا خَلَقَ الله أَرْبَعَة أَشْيَاء بنعمته ورزقه ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كُونُوا بِلَا نِعْمَةٍ وَلَا رِزْقٍ فَكَانُوا؟! قَدْ عَلِمْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ أَنَّ هَذِهِ تَفَاسِيرُ مَقْلُوبَةٌ، خَارِجَةٌ مِنْ كل مَعْقُول لَا يقبله إِلَى كُلُّ جَهُولٍ." [1]

وقَال ابن القيِّم في ذمِّ التَّأويل: "ثُمَّ مِنْ أَعْظَمِ جِنَايَاتِ التَّأْوِيلِ عَلَى الدِّينِ وَأَهْلِهِ وَأَبْلَغِهَا نِكَايَةً فِيهِ أَنَّ الْمُتَأَوِّلَ يَجِدُ بَابًا مَفْتُوحًا لِمَا يَقْصِدُهُ مِنْ تَشْتِيتِ كَلِمَةِ أَهْلِ الدِّينِ وَتَبْدِيدِ نِظَامِهِمْ، وَسَبِيلًا سَهْلَةً إِلَى ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَحْتَجُّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِإِقْرَارِهِ مَعَهُمْ بِأَصْلِ التَّنْزِيلِ،

[1] [نقضُ الدَّارمي على المرِّيسيِّ]

وَيُدْخِلُ نَفْسَهُ فِي زُمْرَةِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ مَا شَاءَ وَيَدَّعِي مَا أَحَبَّ، وَلَا يُقْدَرُ عَلَى مَنْعِهِ مِنْ ذَلِكَ لِادِّعَائِهِ أَنَّ أَصْلَ التَّنْزِيلِ مُشْتَرَكٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَأَنَّ عَامَّةَ الطَّوَائِفِ الْمُقِرَّةِ بِهِ قَدْ تَأَوَّلَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ لِنَفْسِهَا تَأْوِيلًا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ، فَهُوَ يُبْدِي نَظِيرَ تَأْوِيلَاتِهِمْ وَيَقُولُ: لَيْسَ لَكَ أَنْ تُبْدِيَ فِي التَّأْوِيلِ مَذْهَبًا إِلَّا وَمِثْلُهُ سَائِغٌ لِي، فَمَا الَّذِي أَبَاحَهُ لَكَ وَحَظَرَهُ عَلَيَّ، وَأَنَا وَأَنْتَ قَدْ أَقْرَرْنَا بِأَصْلِ التَّنْزِيلِ، وَاتَّفَقْنَا عَلَى تَسْوِيغِ التَّأْوِيلِ؟ فَلِمَ كَانَ تَأْوِيلُكَ مَعَ مُخَالَفَتِهِ لِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ سَائِغًا، وَتَأْوِيلِي أَنَا مُحَرَّمًا؟ فَتَعَلُّقُهُ بِهَذَا أَبْلَغُ مَكِيدَةٍ يَسْتَعْمِلُهَا، وَأَنْكَى سِلَاحٍ يُحَارَبُ بِهِ، فَهَذِهِ الْآفَاتُ وَأَضْعَافُهَا إِنَّمَا لَقِيَهَا أَهْلُ الْأَدْيَانِ مِنَ الْمُتَأَوِّلِينَ." [1]

السَّبَبُ الْخَامِسُ: الْمُتَقَرِّرُ فِي الْقَوَاعِدِ أَنَّ الأَصْلَ فِي بَابِ الصِّفَاتِ الْحَقِيقَةِ، فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ كَائِنٍ مَن كَانَ أَنْ يَدَّعِيَ الْمَجَازَ فِي صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ أَوِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ. وَالْمُتَقَرِّرُ فِي الْقَوَاعِدِ أَنَّهُ لَيْسَ فِي نُصُوصِ الصِّفَاتِ مَجَازٌ، لِأَنَّ الْحُكْمَ عَلَى الشَّيْءِ فَرْعٌ عَنْ تَصَوُّرِهِ.

فَعِنْدَمَا تَنْفِي أَصْلَ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى بِزَعْمِكَ التَّشْبِيهَ وَالتَّجْسِيمِ مُدَّعِيًا التَّنْزِيهَ فِي نَفْيِكَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ أَوَّلًا تَصَوُّرٌ عَنْ كَيْفِيَّةِ ذَاتِ اللهِ تَعَالَى، حَتَّى تَعْرِفَ مَا يَلِيقُ بِهَا

---

[1] [الصَّواعق المرسلة]

وَمَا لَا يَلِيقُ، وَمَا يَجِبُ تَنْزِيهُ ذَاتِ اللهِ عَنْهُ وَمَا لَا يَجِب. فَطَالَمَا لَا تَمْلِكُ تَصَوُّرًا عَن كَيْفِيَّةِ ذَاتِ اللهِ تَعَالَى، فَكَيْفَ تُقْحِمُ عَقْلَكَ فِي مَا يَجُوزُ عَلَى اللهِ وَمَا لَا يَجُوزُ، حَتَّى تَنْفِي صِفَةً وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ؟

قَالَ الإِمام أحمد ابنُ حنبل: "نَعْبُدُ اللهَّ بِصِفَاتِهِ كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، قَدْ أَجْمَلَ الصِّفَةَ لِنَفْسِهِ، وَلَا نَتَعَدَّى الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ، فَنَقُولُ كَمَا قَالَ وَنَصِفُهُ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، وَلَا نَتَعَدَّى ذَلِكَ، نُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ كُلِّهِ مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ شَنَاعَةً شُنِّعَتْ." [1]

[1][الإبانة الكبرى]

~ الجَوابُ عن النِّقطةِ الثَّالثة:

وَأمَّا الجوابُ عن النُّقطةِ الثَّالثةِ فإنَّه يكونُ من وجهينِ:

الوَجْهُ الأَوَّلُ: وَهُوَ أَنَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ لَيْسَتْ مِنَ الآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ –عَلَى عِلْمِي الْقَاصِرِ– أَنَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ مِنَ الآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ، وَكُتُبُ التَّفَاسِيرِ شَاهِدَةٌ بِذَلِكَ، جَاءَ فِي تَفْسِيرِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَالْمُتَشَابِهَاتُ: مَنْسُوخُهُ وَمُقَدَّمُهُ، وَمُؤَخَّرُهُ، وَأَمْثَالُهُ وَأَقْسَامُهُ وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ وَلا يُعْمَلُ بِهِ وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ وَلا يُعْمَلُ، وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ: بَعْضُهُ يُصَدِّقُ بَعْضًا، وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَقَتَادَةُ: هُوَ الْمَنْسُوخُ الَّذِي يُؤْمَنُ بِهِ وَلا يُعْمَلُ بِهِ".

"...وعَنْ مُجَاهِدٍ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ قال: بَعْضُهُ يُصَدِّقُ بَعْضًا، وعَنْ مُقَاتِلٍ: قَوْلُهُ: وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ يَعْنِي فِيمَا بَلَغَنَا: الم وَالمص وَالمر وَالر، فَهَؤُلاءِ الأَرْبَعُ الْمُتَشَابِهَاتُ، وعن مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ لَمْ يَفْصِلْ فِيهِنَّ الْقَوْلَ كَفَصْلِهِ فِي الْمُحْكَمَاتِ، تَتَشَابَهُ فِي عُقُولِ الرِّجَالِ وَيَتَخَالَجُهَا التَّأْوِيلُ، فَابْتَلَى اللهُ فِيهَا الْعِبَادَ كَابْتِلائِهِمْ فِي الْحَلالِ وَالْحَرَامِ".

وَجاء في تفسيرِ الطَّبري: "وَمَا الْمُحْكَمُ مِنْ آيِ الْكِتَابِ؟ وَمَا الْمُتَشَابِهُ مِنْهُ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمُحْكَمَاتُ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ: الْمَعْمُولُ بِهِنَّ، وَهُنَّ النَّاسِخَاتُ، أَوْ الْمُثْبِتَاتُ الْأَحْكَامِ؛ وَالْمُتَشَابِهَاتُ مِنْ آيِهِ الْمَتْرُوكُ الْعَمَلِ بِهِنَّ، الْمَنْسُوخَاتُ، ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: ثنا هُشَيْمٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْعَوَّامُ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ قَالَ: «هِيَ الثَّلَاثُ الْآيَاتِ الَّتِي هَاهُنَا»: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إِلَى ثَلَاثِ آيَاتٍ، وَالَّتِي فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ «الْمُحْكَمَاتُ: نَاسِخُهُ، وَحَلَالُهُ، وَحَرَامُهُ، وَحُدُودُهُ، وَفَرَائِضُهُ، وَمَا يُؤْمِنُ بِهِ، وَيَعْمَلُ بِهِ» قَالَ: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ «وَالْمُتَشَابِهَاتُ: مَنْسُوخُهُ، وَمُقَدَّمُهُ، وَمُؤَخَّرُهُ، وَأَمْثَالُهُ، وَأَقْسَامُهُ، وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ، وَلَا يُعْمَلُ بِهِ»، وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ نَاسٍ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ «أَمَّا الْآيَاتُ الْمُحْكَمَاتُ: فَهُنَّ النَّاسِخَاتُ الَّتِي يُعْمَلُ بِهِنَّ؛ وَأَمَّا الْمُتَشَابِهَاتُ: فَهُنَّ الْمَنْسُوخَاتُ»".

وجاء في تفسيرِ ابن كثيرٍ: "وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ، فَرُوِيَ عَنِ السَّلَفِ عِبَارَاتٌ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ [أَنَّهُ قَالَ] الْمُحْكَمَاتُ نَاسِخُهُ، وَحَلَالُهُ

وَحَرَامُهُ، وَحُدُودُهُ وَفَرَائِضُهُ، وَمَا يُؤْمَرُ بِهِ وَيُعْمَلُ بِهِ، وَكَذَا رُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ، وَمُجَاهِدٍ، وَقَتَادَةَ، وَالضَّحَّاكِ، ومُقاتل بْنِ حَيّان، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، والسُّدِّي أَنَّهُمْ قَالُوا: الْمُحْكَمُ الَّذِي يُعْمَلُ بِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: الْمُحْكَمَاتُ [فِي] قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ وَالْآيَتَانِ بَعْدَهَا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ﴾ إِلَى ثَلَاثِ آيَاتٍ بَعْدَهَا، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَحَكَاهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْر [ثُمَّ] قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زيد، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سُوَيْد أَنَّ يَحْيَى بْنَ يَعْمَر وَأَبَا فَاخِتَةَ تَرَاجَعَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فَقَالَ أَبُو فَاخِتَةَ: فَوَاتِحُ السُّوَرِ. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ يَعْمَر: الْفَرَائِضُ، وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، وَالْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَقَالَ ابْنُ لَهِيعَة، عَنْ عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ يَقُولُ: أَصْلُ الْكِتَابِ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّهُنَّ مَكْتُوبَاتٌ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ، وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ أَهْلِ دِينٍ إِلَّا يَرْضَى بِهِنَّ، وَقِيلَ فِي الْمُتَشَابِهَاتِ: إِنَّهُنَّ الْمَنْسُوخَةُ، وَالْمُقَدَّمُ مِنْهُ وَالْمُؤَخَّرُ، وَالْأَمْثَالُ فِيهِ وَالْأَقْسَامُ، وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ وَلَا يُعْمَلُ بِهِ. رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَقِيلَ: هِيَ الْحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ، قَالَهُ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ: الْمُتَشَابِهَاتُ يُصَدِّقُ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا.

وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾ هُنَاكَ ذَكَرُوا: أَنَّ الْمُتَشَابِهَ هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي يَكُونُ فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ، وَالْمَثَانِي هُوَ الْكَلَامُ فِي شَيْئَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ كَصِفَةِ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ النَّارِ، وَذِكْرِ حَالِ الْأَبْرَارِ ثُمَّ حَالِ الْفُجَّارِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ فَأَمَّا هَاهُنَا فَالْمُتَشَابِهُ هُوَ الَّذِي يُقَابِلُ الْمُحْكَمَ".

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: "وَفِي الْمُتَشَابِهِ سَبْعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْمَنْسُوخُ، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّي فِي آخَرِينَ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ لِلْعُلَمَاءِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ سَبِيلٌ، كَقِيَامِ السَّاعَةِ، رُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ. وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ الْحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ، كَقَوْلِهِ: أَلَمْ وَنَحْوُ ذَلِكَ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ مَا اشْتَبَهَتْ مَعَانِيهِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ. وَالْخَامِسُ: أَنَّهُ مَا تَكَرَّرَتْ أَلْفَاظُهُ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ. وَالسَّادِسُ: أَنَّهُ مَا احْتَمَلَ مِنَ التَّأْوِيلِ جُوهاً. وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: الْمُحْكَمُ مَا لا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَاتِ، وَلَا

يُخْفَى عَلَى مُمَيِّزٍ، وَالْمُتَشَابِهُ: الَّذِي تَعْتُورُهُ تَأْوِيلَاتٌ. وَالسَّابِعُ: أَنَّهُ الْقِصَصُ وَالْأَمْثَالُ، ذَكَرَهُ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى." [1]

وَقَدْ نَظَرْتُ فِي تَفَاسِيرَ كَثِيرَةٍ، فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ السَّلَفِ -إِلَى هذِهِ اللَّحْظَةِ- فَسَّرَ هذِهِ الْآيَةَ وَأَنْزَلَهَا عَلَى آيَاتِ الصِّفَاتِ، فَكَيْفَ يَحْمِلُهَا مَشْهُورٌ عَلَى آيَاتِ الصِّفَاتِ؟ وَمَنْ سَلَفُهُ فِي هذَا؟

الْوَجْهُ الثَّانِي: لَوْ قُلْنَا -تَنَزُّلًا- أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ هُوَ صِفَاتُ اللهِ، فَإِن قُلْنَا هذَا تنزُّلًا لَمَا كَانَ لَهُمْ فِي هذَا حُجَّةٌ أَيْضًا، لأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، وَهذِهِ طَرِيقَةُ السَّلَفِ فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ أَصْلًا. فَهَلْ وَرَدَ عَنْ السَّلَفِ أَنَّهُمْ يَرُدُّونَ آيَاتِ الصِّفَاتِ؟ لَا. وَهَلْ وَرَدَ عَنْ السَّلَفِ أَنَّهُمْ يُثْبِتُونَ صِفَاتِ اللهِ كَمَا جَاءَتْ؟ نَعَمْ. وَهَلْ وَرَدَ عَنْ السَّلَفِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِهَا -أَيْ آيَاتِ الصِّفَاتِ- عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِاللهِ كَمَا جَاءَ، كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا؟ نَعَمْ. إِذًا، فَلَيْسَ لَكُمْ فِي هذَا حُجَّةٌ.

---

[1] [زَادُ الْمَسِيرِ]

مَعَ أَنَّنَا لَوْ نَظَرْنَا إِلَى الْأَشَاعِرَةِ لَرَأَيْنَاهُمْ يَرُدُّونَ آيَاتِ الصِّفَاتِ بِحُجَّةٍ أَنَّهَا تُوَهِمُ التَّشْبِيهَ وَالتَّجْسِيمَ، وَلَرَأَيْنَاهُمْ يُقعِّدونَ قَوَاعِدَ فَلْسَفِيَّةً يُونَانِيَّةً لِتَحْرِيفِ صِفَاتِ اللهَّ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرِيدُونَهُ، فَلَا أَدْرِي أيُّ مِنَ الطَّرَفَيْنِ يَنْبَطِقُ عَلَيْهِ قَوْلُ رَبِّنَا ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾؟

~ الجَوابُ عن النُّقطةِ الرَّابعةِ:

وَأمَّا الجوابُ عن النُّقطةِ الرَّابعة فإنَّهُ يسيرٌ بعدمَا أَجبنَا عن النِّقَاطِ السَّابقة، فَمِنَ السَّهُولَةِ أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ زَعْمَ مَشْهُورٍ بِأَنَّ مَقُولَةَ "قِرَاءَتُهَا تَفْسِيرُهَا" بِمَعْنَى: "أَنْ تَقْرَأَ النَّصَّ دُونَ أَنْ تَتَطَرَّقَ إِلَى الْمَعْنَى" كَذِبٌ عَلَى السَّلَفِ، فَالسَّلَفُ عِنْدَمَا كَانُوا يَقُولُونَ عَنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ "قِرَاءَتُهَا تَفْسِيرُهَا" أَوْ "أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ" فَإِنَّمَا يَقْصِدُونَ أَنْ تُفْهَمَ الْمَعْنَى الظَّاهِرُ مِنَ الْآيَةِ دُونَ التَّطَرُّقِ إِلَى كَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ، لِأَنَّ هذَا غَيْبٌ، وَلَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ.

قَال ابن تيميَّة: "وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ فِي «كِتَابِ السُّنَّةِ» عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ: «سُئِلَ مَكْحُولٌ وَالزُّهْرِيُّ عَنْ تَفْسِيرِ الْأَحَادِيثِ، فَقَالَا: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ»، وَرُوِيَ أَيْضًا عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: «سَأَلْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ، وَالْأَوْزَاعِيُّ عَنْ الْأَخْبَارِ الَّتِي جَاءَتْ فِي الصِّفَاتِ؟ فَقَالُوا: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَالُوا: أَمِرَّهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ»، فَقَوْلُهُمْ: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ» رَدٌّ عَلَى الْمُعَطِّلَةِ، وَقَوْلُهُمْ: «بِلَا كَيْفٍ» رَدَّ عَلَى الْمُمَثِّلَةِ، وَالزُّهْرِيِّ وَمَكْحُولٌ هُمَا أَعْلَمُ التَّابِعِينَ فِي زَمَانِهِمْ، وَالْأَرْبَعَةُ الْبَاقُونَ هُمْ أَئِمَّةُ الدُّنْيَا فِي عَصْرِ تَابِعِي التَّابِعِينَ، وَإِنَّمَا قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ هَذَا بَعْدَ

ظُهُورِ أَمْرِ جَهْمِ الْمُنْكر لِكَوْنِ اللهَّ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَالنَّافِي لِصِفَاتِهِ، لِيَعْرِفَ النَّاسُ أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ كَانَ خِلَافَ ذَلِكَ، وَمِنْ طَبَقَتِهِمْ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، وَحَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ وَأَمْثَالُهُمَا...

... وَعَنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى قَالَ: كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهَّ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كَيْفَ اسْتَوَى؟، فَأَطْرَقَ مَالِكٌ بِرَأْسِهِ حَتَّى عَلَاهُ الرُّحَضَاءُ ثُمَّ قَالَ: «الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُخْرُجَ»، فَقَوْلُ رَبِيعَةَ وَمَالِكٍ: «الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ» مُوَافِقٌ لِقَوْلِ الْبَاقِينَ: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ»، فَإِنَّمَا نَفَوْا عِلْمَ الْكَيْفِيَّةِ، وَلَمْ يَنْفُوا حَقِيقَةَ الصِّفَةِ، وَلَوْ كَانَ الْقَوْمُ قَدْ آمَنُوا بِاللَّفْظِ الْمُجَرَّدِ مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ لِمَعْنَاهُ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللهَّ لِمَا قَالُوا: «الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ»، وَلَمَّا قَالُوا: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ»، فَإِنَّ الِاسْتِوَاءَ حِينَئِذٍ لَا يَكُونُ مَعْلُومًا، بَلْ مَجْهُولًا بِمَنْزِلَةِ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ، وَأَيْضًا: فَإِنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى نَفْيِ عِلْمِ الْكَيْفِيَّةِ، إِذَا لَمْ يُفْهَمْ مِنْ اللَّفْظِ مَعْنًى، وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى نَفْيِ عِلْمِ الْكَيْفِيَّةِ إِذَا أَثْبَتَتْ الصِّفَاتُ." [1]

---

[1][مجموعة الفتاوى]

وَقَال الذَّهبيُّ: "قَالُوا هَذِه الصِّفَات تمر كَمَا جاءَت وَلَا تَأَول مَعَ اعْتِقَاد أَن ظَاهرهَا غير مُرَاد فتفرع من هَذَا أَن الظَّاهِر يَعْنِي بِهِ أَمْرَانِ أَحدهمَا أَنه لَا تَأْوِيل لَهَا غير دلَالَة الْخطاب كَمَا قَالَ السّلف الاسْتوَاء مَعْلُوم، وكما قَالَ سُفْيَان وَغَيره قرَاءَتهَا تَفْسِيرهَا، يَعْنِي أَنَّهَا بَيِّنَة وَاضِحَة فِي اللُّغَة لَا يبتغى بهَا مضائق التَّأْوِيل والتحريف، وَهَذَا هُوَ مَذْهَب السّلف مَعَ اتِّفَاقهم أَيْضا أَنَّهَا لَا تشبه صِفَات الْبشر بِوَجْه إِذْ الْبَارِي لَا مثل لَهُ لَا فِي ذَاته وَلَا فِي صِفَاته." [1]

وقَالَ الإِمام الأَصبهانيُّ: "اجْتمع الْأَئِمَّة عَلَى أَن تَفْسِيرهَا قرَاءَتهَا، قَالُوا: «أمروها كَمَا جَاءَت»، وَمَا ذكر اللهَّ فِي الْقُرْآن مثل قَوْله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيهم الله فِي ظلّ من الْغَمَام﴾ وَقَوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صفا﴾ كل ذَلِك بِلَا كَيفَ وَلَا تَأْوِيل نؤمن بهَا إِيمَان أهل السَّلامَة وَالتَّسْلِيم لأهل السُّنَّة والسَّلامة وَاسِعَة بِحَمْد لله وَمِنْه، وَطلب السَّلامَة فِي معرفَة صِفَات اللهَّ أوجب وَأولى، وأقمن وَأَحْرَى، فَإِنَّهُ ﴿لَيْسَ كمثله شَيْء، وَهُوَ السَّمِيع الْبَصِير﴾ فَلَيْسَ كمثله شَيْء يَنْفِي كل تَشْبِيه وتمثيل، وَهُوَ السَّمِيع الْبَصِير، يَنْفِي كل تَعْطِيل وَتَأْويل، فَهَذَا مَذْهَب أهل السّنة وَالْجَمَاعَة والأثر، فَمن فَارق مَذْهَبهم فَارق السّنة، وَمن اقْتدى بهم وَافق السّنة، وَنحن بِحَمْد اللهَّ من المقتدين بهم، المنتحلين

[1][العلوُّ للعليِّ الغفَّار]

لمذهبهم، الْقَائِلين بفضلهم، جمع اللهَّ بَيْننَا وَبينهمْ فِي الدَّاريْنِ، فَالسنة طريقتنا، وَأهل الْأَثر أَئِمَّتنَا، فأحيانا اللهَّ عَلَيْهَا وأماتنا برحمته إِنه قريب مُجيب." [1]

وبهذَا يتبيَّن معنى قول السَّلف: "أمروها كمَا جاءت" وهو إثبات الصِّفة لله عزَّ وجلَّ دون التطرُّق إلى الكيفيَّة، وهذَا مذهب أهل السُّنَّة، والحمدُ لله ربِّ العالمين.



[1] [الحجَّة في بيان المحجَّة]

هَلِ الأَسباب مُؤَثِّرَةٌ؟

قالَ مشهور فوَّاز: "من الخطإِ أن نقول أيضًا: أنَّ المَاء يروي بنفسهِ، أو أنَّ حبَّة الدَّواء تشفي بنفسِهَا، لا، نحنُ نقول: اللهُ تعالَى يخلقُ الشِّفَاء عند شربِ حبَّة الدَّواء، الله تعالى يخلقُ الرَّيَّ عند شُربِ المَاء، إذَا قُلنا: المَاءُ يروي. وقصدنَا بذلكَ أنَّ المَاء يروي بذاتهِ حقيقةً، هذَا لا يجوز...، نحنُ نؤمنُ أنَّ الله يخلقُ الذَّبح عند الحزِّ بالسِّكين، وأنَّ الله يخلقُ الحرقَ عند مُلامسة النَّار للأشيَاء، وأنَّ الله يخلُق الرَّيَّ عند شُربِ المَاء، وَأنَّ الله يخلُقُ الشَّبع، عند أكلِ الطَّعام."[1]

هذَا كلامُه بتمامِه، وقبل أن نتطرَّقَ إلى بيانِ فسادِه، يجبُ علينَا أن نعرِف ما هو مذهبُ مشهورٍ فوَّاز -وهو مذهبُ الأشاعرة- في الأسبابِ وتأثيرِها، وما هو مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ فيهما كذلك، ثمَّ نرى كيف خالفَ مشهورٌ فوَّاز تبعًا لمذهبِه الأشعريِّ أهلَ السُّنَّةِ في هذا الباب، كما خالفَهم في الأبواب العقديَّة الأخرى.

---

[1] 4:48- 6:30

أقولُ وبالله التَّوفيق: قد انقسمَ الناسُ في الأسبابِ وتأثيرِها إلى ثلاثةِ أقسام:

١- قسمٌ أثبتَ الأسبابَ وأنَّها مؤثِّرةٌ فاعلةٌ بنفسِها، فإذا وُجِدَ السَّببُ وُجِدَ الأثرُ لزومًا.

٢- قسمٌ أنكرَ تأثيرَ الأسبابِ مطلقًا، وجعلوا المؤثِّر هو الله فقط.

٣- قسمٌ أثبتَ الأسبابَ وأنَّها مؤثِّرة، ولكنها ليست مؤثِّرةً بنفسِها، بل بتقديرِ الله، فلو شاء أن لا تؤثِّر فلن تؤثِّر.

والقسمُ الثالثُ هم أهلُ السُّنَّةِ والجماعة، ومذهبهُم: أنَّ الأسبابَ مؤثِّرةٌ، لا بذاتِها، بل بتقديرِ الله.

قال الشيخُ ابنُ عثيمين رحمهُ الله: «واعلمْ أيضًا أنَّ الناسَ اختلفوا في الأسبابِ على ثلاثةِ أقوال: طرفان، ووسَط.

طرفٌ من الناس أثبتوا الأسبابَ وأنَّها فاعلةٌ بنفسِها، يعني أنَّه إذا وُجِدَ السَّببُ لَزِمَ وجودُ المسبَّب ولا بُدَّ. وطائفةٌ أخرى أنكرتْ تأثيرَ الأسبابِ وقالوا: الأسبابُ لا تؤثِّر، لأنَّك لو جعلتَ هذا متأثِّرًا بسببٍ لأثبتَّ لله شريكًا في الإيجاد، وهذا شرك.

إذن هنَا طرفانِ: طرفٌ يُثبِت الأسبابَ وأنَّها مؤثِّرةٌ بنفسِها، بمعنى أنَّه متى وُجِدَ السَّببُ لَزِمَ وجودُ المسبَّب، فالسَّببُ مؤثِّرٌ بذاتِه. وطائفةٌ أخرى تقول: لا تأثيرَ للأسبابِ، لأنَّك لو جعلتَ للأسباب تأثيرًا أشركتَ مع الله، حيث جعلتَ مُوجِدًا مع الله عز وجل.

الطائفةُ الثالثةُ قالت: الأسبابُ مؤثِّرةٌ لا شكَّ، لكن لا بنفسِها، بل بما أودعَ اللهُ فيها من القوى التي صارت بها مؤثِّرة، ولو شاء اللهُ تعالى لسلَب تلك القوى فلم تؤثِّر. وهذا قولٌ وسط، وهو مذهبُ أهلِ السُّنَّة والجماعة، وهو الذي يوافقُ السمعَ والعقل».[1]

وأضرِبُ مثالًا حتى تتضحَ المسألة: لو أنَّ إنسانًا ذبح كبشًا بالسِّكين، فإنَّ الكبشَ سيموت. فسببُ الموت هنا هو السِّكين، والأثرُ هنا هو الموت. والموت –الأثر– نتج عن

[1] [تفسير سورة غافر: ١٦]

حَزِّ السِّكين، فهو سبب. ولكنَّ الأثر -الموت- وُجِدَ بتقديرِ الله، بمعنى: لو لم يُرِدِ اللهُ للكبش أن يموت = فلن يموت.

مثالٌ آخر: لو أنَّ هناك رجلًا مريضًا، فإنَّه سيشرب الدَّواءَ حتى يشفى. فشربُه للدواء سبب، والشِّفاءُ أثر. والشِّفاء نتج عن شربِ الدَّواء، ولكنَّ الشِّفاء لم يحصل إلَّا بتقديرِ الله، بمعنى: لو لم يُرِدِ اللهُ الشِّفاءَ له = فلن يُشفى، ولو شرب الدَّواء كلَّه.

والخلاصةُ: مذهبُ أهلِ السُّنَّة أنَّ السَّببَ مؤثِّرٌ، لا بذاتِه، وإنَّما بتقديرِ الله عز وجل.

وبعد أن اتَّضحت المسألة، يمكننا أن نعرفَ بماذا خالفَنا الأشاعرة، والجواب: خالفَنا الأشاعرة -وهو مذهبُ مشهور فوَّاز- بأنَّ الأسبابَ لا أثرَ لها مطلقًا، وإنَّما أثرُ السَّببِ يوجدُ عندَه لا به. فالسِّكين عندهم لا تذبح، لأنَّ السِّكين سبب، والذَّبح أثر. والسَّببُ عندهم لا يُنتجُ أثرًا، لأنَّ الله هو المختصُّ بذلك، فالله يخلقُ الأثرَ عند السَّبب لا به. فعندهم أنَّ الله يخلقُ الذَّبحَ عند السِّكين لا بها، والدَّواءُ عندهم لا يُشفي، بل الله يخلقُ الشِّفاءَ عند شربِ حبَّةِ الدَّواء لا بها، وهكذا...

والخلاصةُ: مذهبُ الأشاعرة أنَّ السَّببَ لا أثرَ له مطلقًا، وإنَّما يوجدُ الأثرُ عند السَّبب لا به.

قال الغزاليُّ: "مذهَبُ الطَّبائعيَّةِ: أنَّ النَّارَ مُحرِقةٌ بطَبعِها، والماءَ مُرْوٍ بطَبعِه، والخُبزَ مُشبعٌ بطبعِه،... وقِسْ عليه جميعَ الأسبابِ، ومذهَبُ أهلِ الحقِّ أنَّ المؤثِّرَ هو قُدرةُ اللهِ تعالى، وأنَّ الأسبابَ لا أثَرَ لها، واللهُ أعلَمُ"[1] ومذهبُ أهل الحقِّ عند الغزاليِّ هو مذهبُ الأشاعرة، لأنَّه منهم.

قَال ابن حزم: "ذهَبَت الأشعريَّة إلى إنكارِ الطَّبائِعِ جُملةً، وقالوا: ليس في النَّارِ حَرٌّ، ولا في الثَّلجِ بَردٌ، ولا في العالَمِ طبيعةٌ أصلًا، وقالوا: إنَّما حَدَث حَرُّ النَّارِ جملةً، وبَردُ الثَّلجِ عِندَ المُلامَسةِ، قالوا: ولا في الخَمرِ طبيعةُ إسكارٍ، ولا في المَنيِّ قُوَّةٌ يَحدُثُ بها حيوانٌ، ولكِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يخلُقُ منه ما شاء، وقد كان ممكِنًا أن يُحدِثَ من مَنيِّ الرِّجالِ جَمَلًا، ومن مَنيِّ الحِمارِ إنسانًا."[2]

---

[1] [مجموعة رسائل الإمام الغزالي]

[2] [الفصل في الملل والأهواء والنحل]

ومذهبُ مشهورٍ هو عينُ مذهبِ الأشاعرة، فهو يُصرِّح بأنَّ الماءَ لا يروي بنفسِه، وبأنَّ الدَّواء لا يشفي بنفسِه، بل اللهُ يخلُقُ الرَّيَّ عند شُربِ الماء، ويخلُقُ الشِّفاءَ عند شُربِ حبَّةِ الدَّواء، بمعنى أنَّ هذه الأسبابَ لا أثرَ لها، فيُعطِّلُ الأسبابَ ويَفصِلُها عن آثارِها، ولذلك سمَّى أهلُ السُّنَّة الأشاعرةَ في هذا الباب: بـ"مُعطِّلةَ الأسباب".

وهذا المذهبُ باطلٌ فاسدٌ من وجوهٍ عدَّة:

الوجهُ الأوَّل: يُناقضُ مذهبُ الأشاعرة الواقعَ مناقضةً واضحة، فعندما نأتي بورقةٍ ونُحرِقُها، فلا يتمُّ حرقُها إلَّا بمَسِّ النَّار لها. فالأثرُ وُجِدَ بالسَّببِ لا عندَه، وإلَّا كان من الممكن أن يتمَّ حرقُ الورقة دون أن تَمَسَّها النَّار، وهذا مستحيل. أو من الممكن أن تحمِلَ المرأةُ في بطنها جنينًا دون أن يَمسَّها زوجُها، وهذا مستحيل أيضًا، إلَّا إن كان لمشهورٍ رأيٌ آخر!

الوجهُ الثَّاني: يُبطِلُ مذهبُ الأشاعرة حُجِّيَّةَ المعجزةِ النبويَّة التي آتاها اللهُ لأنبيائِه. فالأنبياءُ قد أتَوا بمعجزاتٍ على خلافِ العادة الكونيَّة المستقرَّة في أنَّ السَّبب يُنتِجُ الأثر.

فلمَّا أتى الأنبياءُ بمعجزاتٍ على خلاف العادة الكونيَّة المستقرَّة، والتي كانت تتمثَّل بأسبابٍ دون آثارها، أو آثارٍ دون أسبابها، كانت معجزةً مُبهِرةً للكافرين. فعندما يُنكِرُ الأشعريُّ أنَّ السَّبب مؤثِّرٌ فقد أنكرَ حُجِّيَّة الأنبياء في المعجزات، لأنَّها لم تأتِ على خلاف العادة عنده.

الوجهُ الثَّالث: يُعارضُ مذهبُ الأشاعرة القرآنَ والسُّنَّةَ معارضةً صريحة، ففي القرآن والسُّنَّة نصوصٌ كثيرةٌ تدلُّ على ربطِ الأسباب بآثارها. أذكرُ شيئًا منها:

قال الله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾. فبِماذا حُرِقت وجوهُهم؟ بالنَّار. وحرقُ الوجه أثر، والنَّار سبب.

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾. فبِماذا نَبَتَ الحبُّ؟ بالماءِ. والنبات أثر، والماء سبب.

وقال: ﴿أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾. فبِماذا خرج الزَّرع؟ بالماءِ. وخروجُ الزرع أثر، والماء سبب.

وقال: ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾. فبِماذا أُحييت الأرض؟ بالماءِ. وإحياؤها أثر، والماء سبب.

وقال: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾. فبِماذا شوى اللهُ وجوهَهم؟ بالماءِ. والشواء أثر، والماء سبب.

وقال النَّبي ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وكُلُّ مُسْكِرٍ حَرامٌ»[1]. فبِماذا أُسكِرَ العقل؟ بالخمر. والإسكار أثر، والخمر سبب.

---

[1] – [صحيح مسلم]

وعن عمرو بن أميَّة قال: قال رجلٌ للنبي ﷺ: "أُرسلُ ناقتي وأتوكَّل على الله؟" قال: «اعقِلها وتوكَّل»[1] فبِماذا تُحفَظُ النَّاقة؟ بعَقلها. وحفظُها أثر، وربطُها سبب.

وقال النَّبي ﷺ -وهذا الحديثُ لوحدِه يُبطِلُ مذهبَهم كلَّه-: «لِكُلِّ داءٍ دواءٌ، فإذا أُصيب دواءُ الدَّاءِ بَرَأَ بإذن الله عزَّ وجلَّ». فبِماذا يبرأ المريض؟ بالدواء. والبُرء أثر، وأخذ الدَّواء سبب.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسولُ الله ﷺ إذا خرج أقرعَ بين نسائِه...، جعلَتْ تجعلُ رجلَها بين الإذخر وتقول: يا ربِّ، سلِّط عليَّ عقربًا، أو حيَّةً تلدغني، رسولُك ولا أستطيع أن أقولَ له شيئًا." فبماذا طَلبت أن تُلدَغ قدمُها؟ بالعقرب أو الحيَّة. واللَّدغ أثر، والعقرب والحيَّة سبب.

[1] - [تخريج صحيح ابن حبان]

وقال النَّبي ﷺ: «وَلْيُحِدَّ أحدُكم شفرتَه، فليُرِح ذبيحتَه.»[1] فبماذا تستريحُ الذبيحة؟ بإحداد الشفرة. واستراحتُها أثر، وإحدادُ الشفرة سبب.

فهذه بعضُ النُّصوص من القرآن والسُّنَّة، ولو نقلتُ كلَّ النُّصوص لطالَ المقامُ كثيرًا. وأمَّا عن تفسيرِ هذه الآيات والأحاديث من كتبِ السَّلف وغيرهَا فهيَ كثيرةٌ جدًّا، وكلُّها تُثبِتُ السَّببَ وأثرَه.

الوجهُ الرَّابع: إذا عملنا بمذهبِ الأشاعرة فلن يكون هناك قضاءٌ ولا قِصاص. بمعنى: لو أنَّني ضربتُ رجلًا فارتمى قتيلًا، فلا يحقُّ للأشعريِّ أن يقتصَّ منِّي إن كان قاضيًا. فالقتلُ حصَلَ عند ضربي للرجل لا بسبب ضربي.

[1] - [صحيح مسلم]

فأنا لم أقتُلْه حقيقةً، بل اللهُ خلقَ الموتَ عند ضربي له. فهل أنا السَّبب؟ لا. إذًا لا حقَّ للأشعريِّ أن يقتصَّ منِّي بناءً على قواعدِ مذهبِه. ولا يخفى على كلِّ عاقلٍ سخفُ هذا المنطق. وهذه من اللطائف التي ذكرها شيخُنا السُّعيدان في ردِّه على مذهب الأشاعرة.[1]

الوجهُ الخامس: يُعارِضُ مذهبُ الأشاعرة مذهبَ السَّلف وجمهورَ العلماء من أهل السُّنَّة والجماعة.

قَال ابن تيميَّة: "الذي عليه السَّلَفُ وأتباعُهم وأئمَّةُ أهلِ السُّنَّةِ وجمهورُ أهلِ الإسلامِ المُثبِتون للقَدَرِ المُخالِفون للمُعتزِلةِ: إثباتُ الأسبابِ، وأنَّ قُدرةَ العَبدِ مع فِعلِه لها تأثيرٌ كتأثيرِ سائرِ الأسبابِ في مُسَبَّباتِها، واللهُ تعالى خلَقَ الأسبابَ والمُسَبَّباتِ، والأسبابُ ليست مُستقِلَّةً بالمُسَبَّباتِ، بل لا بُدَّ لها من أسبابٍ أُخَرَ تُعاوِنُها، ولها مع ذلك أضدادٌ تمانِعُها، والمسبَّبُ لا يكونُ حتَّى يخلُقَ اللهُ جميعَ أسبابِه، ويدفَعَ عنه أضدادَه المعارِضةَ له، وهو سُبحانَه يخلُقُ جميعَ ذلك بمشيئتِه وقُدرتِه."

[1] ["مقطع على اليوتيوب بعنوان: "قاعدة: الأسباب مؤثِّرة، لا بذاتها، بل بتقدير الله].

وقَال أيضًا: "ومن قال: إنَّ قُدرةَ العَبدِ وغَيرَها من الأسبابِ التي خلَق اللهُ تعالى بها المخلوقاتِ ليست أسبابًا، أو أنَّ وُجودَها كعَدَمِها، وليس هناك إلَّا مجرَّدُ اقترانٍ عاديٍّ كاقترانِ الدَّليلِ بالمدلولِ = فقد جحَد ما في خَلقِ اللهِ وشَرعِه من الأسبابِ والحِكَمِ والعِلَلِ، ولم يجعَلْ في العَينِ قوَّةً تمتازُ بها عن الخَدِّ تُبصِرُ بها، ولا في القَلبِ قُوَّةً يمتازُ بها عن الرِّجْلِ يَعقِلُ بها، ولا في النَّارِ قُوَّةً تمتازُ بها عن التُّرابِ تُحرِقُ بها! وهؤلاء يُنكِرون ما في الأجسامِ المطبوعةِ من الطَّبائِعِ والغرائِزِ. قال بعضُ الفُضَلاءِ: تكَلَّم قومٌ من النَّاسِ في إبطالِ الأسبابِ والقُوى والطَّبائعِ فأضحَكوا العُقَلاءَ على عُقولِهم، ثمَّ إنَّ هؤلاء يقولونَ: لا ينبغي للإنسانِ أن يقولَ: إنَّه شَبِع بالخُبزِ، ورَوِيَ بالماءِ، بل يقولُ: شَبِعتُ عِندَه، ورَوِيتُ عِندَه؛ فإنَّ اللهَ يخلُقُ الشِّبَعَ والرِّيَّ ونحوَ ذلك من الحوادِثِ عِندَ هذه المُقتَرِناتِ بها عادةً لا بها، وهذا خِلافُ الكِتابِ والسُّنَّةِ، فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾." [1]

[1][مجموع الفتاوى]

وقَال ابن القيِّم رحمه الله: "لو تتبَّعْنا ما يفيدُ إثباتَ الأسبابِ من القُرآنِ والسُّنَّةِ لزادَ على عَشَرةِ آلافِ مَوضِعٍ، ولم نَقُلْ ذلك مُبالغةً بل حقيقةً، ويكفي شهادةُ الحِسِّ والعَقلِ والفِطَرِ؛ ولهذا قال من قال من أهلِ العلمِ: تكَلَّم قومٌ في إنكارِ الأسبابِ فأضحكوا ذوي العُقولِ على عقولِهم، وظنُّوا أنَّهم بذلك يَنصُرونَ التَّوحيدَ، فشابهوا المُعطِّلةَ الذين أنكَروا صفاتِ الرَّبِّ ونُعوتَ كمالِه، وعُلُوَّه على خَلقِه، واستواءَه على عرشه، وتكَلُّمَه بكُتُبِه، وتكليمَه لملائكتِه وعِبادِه، وظنُّوا أنَّهم بذلك ينصُرونَ التَّوحيدَ، فما أفادهم إلَّا تكذيبَ اللهِ ورُسُلِه، وتنزيهَه عن كلِّ كمالٍ، ووَصْفَه بصفاتِ المعدومِ والمُستحيلِ، ونظير من نزَّه اللهَ في أفعالِه وأن يقومَ به فِعلٌ البتَّةَ، وظَنَّ أنَّه ينصُرُ بذلك حُدوثَ العالَمِ، وكونَه مخلوقًا بَعدَ أن لم يكُنْ، وقد أنكر أصلَ الفِعلِ والخَلقِ جُملةً، ثمَّ من أعظَمِ الجِنايةِ على الشَّرائعِ والنبُوَّاتِ والتوحيدِ إيهامُ النَّاسِ أنَّ التَّوحيدَ لا يَتِمُّ إلَّا بإنكارِ الأسبابِ، فإذا رأى العُقلاءُ أنَّه لا يمكِنُ إثباتُ توحيدِ الرَّبِّ سُبحانَه إلَّا بإبطالِ الأسبابِ ساءت ظُنونُهم بالتوحيدِ، وبمن جاء به، وأنت لا تجِدُ كِتابًا من الكُتُبِ أعظَمَ إثباتًا للأسبابِ من القُرآنِ، ويا للهِ للعَجَبِ إذا كان اللهُ خالِقَ السَّبَبِ والمُسبَّبِ، وهو الذي جعَل هذا سببًا لهذا، والأسبابُ والمُسبَّباتُ طَوعُ مَشيئتِه وقُدرتِه، مُنقادةٌ لحُكمِه، إن شاء أن يُبطِلَ سَببيَّةَ الشَّيءِ أبطَلها كما أبطَل إحراقَ النَّارِ على خليلِه إبراهيمَ، وإغراقَ الماءِ على كليمِه وقومِه، وإن شاء أقام لتلك الأسبابِ موانعَ تمنَعُ تأثيرَها مع بقاءِ قُواها، وإن شاء خلَّى بينها وبَينَ اقتضائِه لآثارِها؛ فهو سُبحانَه يفعَلُ هذا وهذا وهذا، فأيُّ قَدحٍ يُوجِبُ ذلك في التَّوحيدِ؟! وأيُّ شِركٍ يترتَّبُ

على ذلك بوَجهٍ من الوُجوهِ؟! ولكِنْ ضُعفاءُ العُقولِ إذا سمِعوا أنَّ النَّارَ لا تُحرِقُ، والماءَ لا يُغرِقُ، والخُبزَ لا يُشبِعُ، والسَّيفَ لا يَقطَعُ، ولا تأثيرَ لشيءٍ من ذلك البتَّةَ، ولا هو سَبَبٌ لهذا الأثَرِ، وليس فيه قُوَّةٌ، وإنَّما الخالِقُ المُختارُ يشاءُ حُصولَ كلِّ أثَرٍ من هذه الآثارِ عِندَ مُلاقاةِ كذا لكذا؛ قالت: هذا هو التَّوحيدُ، وإفرادُ الرَّبِّ بالخَلقِ والتأثيرِ، ولم يَدرِ هذا القائِلُ أنَّ هذا إساءةُ ظنٍّ بالتوحيدِ، وتسليطٌ لأعداءِ الرُّسُلِ على ما جاؤوا به." [1]

ولم يكتف الأشاعرةُ بمعارضةِ القرآن، والسُّنَّة، والسَّلفِ، والعقلِ، والفطرةِ، والواقعِ، بل كفَّروا من لا يقولُ بمذهبهم!

قال الباجوريُّ: "من اعتَقد أنَّ الأسبابَ العاديَّةَ كالنَّارِ والسِّكينِ، والأكلِ والشُّربِ تُؤثِّرُ في مُسَبَّباتِها كالحَرقِ والقَطعِ، والشِّبَعِ والرِّيِّ بطَبعِها وذاتِها، فهو كافِرٌ بالإجماعِ، أو بقُوَّةٍ خَلقَها اللهُ فيها، ففي كُفرِه قولانِ، والأصَحُّ أنَّه ليس بكافرٍ، بل فاسِقٌ مُبتَدِعٌ." [2]

---

[1] [شفاء العليل]

[2] [تحفة المريد]

وقالَ ابنُ حزمٍ: "قال الأشاعِرةُ: من قال: إنَّ النَّارَ تُحرِقُ أو تَلفَحُ، أو أنَّ الأرضَ تهتَزُّ أو تُنبِتُ شيئًا، أو أنَّ الخَمرَ يُسكِرُ، أو أنَّ الخُبزَ يُشبِعُ، أو أنَّ الماءَ يَروي = فقد ألحدَ وافترَى!"[1]

فهل يكفِّر مشهورُ فوَّاز عوامَّ المسلمين وأئمَّتهم التزامًا بمذهبه الفَاسِد؟ نترك الجوابَ له.



[1][الفصل في الملل والأهواء والنحل]

هَل للهِ وجهٌ؟

قالَ مشهور فوَّاز: "بالنِّسبةِ لقولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٍ إِلَّا وَجْهَه﴾ إمَّا أن تقول: اللهُ أعلمُ بالمَعنى، بمعنى الوَجه، لكن قطعًا لا يُرادُ بذلكَ ظاهرُ اللَّفظ، الله أعلمُ بالمعنى، وإمَّا أن تتأوَّلهُ وتقول: كلُّ شيءٍ هالكٌ إلَّا ذاته، وغير ذلك من الصِّفات التي تُوهمُ التَّشبيه، كلُّ صفةٍ توهمُ التَّشبيه، إمَّا أن تفوِّض فتقول: الله أعلم بالمعنى، ولا يُرادُ الظَّاهر، ولا يُراد المعنى المتبادرُ إلى الذِّهن، ولا يُمكن للعقلِ أن يستوعب المعنى، وتعتبرها من الآيات المُتشابهة التي لا يُدركُ معناها، وإمَّا أن تتأوَّلها."[1]

هذَا كلامُه بتمامِه، وكما هو واضحٌ أنَّ الرَّجلَ يسيرُ على التَّأصيلِ الذي أصَّلَه مسبقًا –وقد رددنا عليه– بأنَّ منهجَ السَّلف هو منهجُ التَّفويض، ومنهجَ الخلَف هو منهجُ التَّأويل. وأنَّ آياتِ الصِّفات من الآياتِ المتشابِهات التي توجِبُ التَّشبيهَ والتَّجسيم –وهذَا كفرٌ عنده– فوجبَ تفويضُها أو تأويلُها، ولا يُرادُ من هذه الآياتِ المعنى المتبادَر إلى الذِّهن.

[1] – 17:26-18:12

فهذا كلُّه قد أصَّلَه مسبقًا حتى ينطلقَ بعدها إلى نفيِ العُلوِّ، واليَد، وغيرِها من الصِّفات، كما نفى الوجهَ للهِ عزَّ وجلَّ الآن، وهذا كلُّه بناءً على هذه المقدِّمات التي قدَّمَ بها، وقد رددنا عليها بفضلِ الله.

فبقي علينا أن نُبطِلَ تأويلَه لصفةِ الوجهِ لله سبحانه وتعالى، وهذا سهلٌ إن شاء الله. فأهلُ السُّنَّة والجماعة يُثبِتون وجهًا حقيقيًّا يليقُ بجلالِه وجمالِه سبحانه، وهذا ممَّا دلَّ عليه القرآنُ والسُّنَّة، وكلامُ السَّلف ومَن بعدَهم. أوردُ شيئًا منها:

قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ﴾. وقالَ: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾. وقالَ: ﴿هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ﴾. وقالَ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾. وقالَ: ﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضعِفُونَ﴾.

وقَد قالَ النَّبيُّ ﷺ: "إنَّك لنْ تُخلَّفَ فتعملَ عملًا تَبتغي به وَجْهَ اللهِ، إلَّا ازددتَ به درجةً ورِفعةً."[1]

---

[1] – [صحيح البخاريِّ]

وقولُه ﷺ: "حِجابُهُ النُّورُ، -وفي رِوايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ- لو كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وجْهِهِ ما انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِن خَلْقِهِ."[1]

وقوله ﷺ: "إنَّ في الجَنَّةِ خَيْمَةً مِن لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُها سِتُّونَ مِيلًا، في كُلِّ زاوِيَةٍ مِنْها أهْلٌ، ما يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عليهِمُ المُؤْمِنُونَ، وجَنَّتانِ مِن فِضَّةٍ؛ آنِيَتُهُما وما فِيهِما، وجَنَّتانِ مِن كَذا؛ آنِيَتُهُما وما فِيهِما، وما بيْنَ القَوْمِ وبيْنَ أنْ يَنْظُرُوا إلى رَبِّهِمْ إلَّا رِداءُ الكِبْرِ علَى وجْهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ."[2]

وقوله ﷺ: "...وأسأَلُكَ نعيمًا لاَ ينفدُ وقرَّةَ عينٍ لاَ تنقطعُ وأسأَلُكَ الرِّضاءَ بالقضاءِ وبردَ العيشِ بعدَ الموتِ ولذَّةَ النَّظرِ إلى وجْهِكَ والشَّوقَ إلى لقائِكَ..."[3]

قالَ البغويُّ رحمهُ الله: "كُلُّ ما جاء به الكِتابُ أو السُّنَّةُ مِن هذا القَبيلِ في صِفاتِ اللهِ سُبحانَه وتعالى كالنَّفْسِ، والوَجْهِ، والعَيْنِ، واليَدِ، والرِّجْلِ، والإتيانِ، والمجيءِ، والنُّزولِ

[1] - [صحيح مسلم]

[2] - [صحيح البخاريِّ]

[3] - [صحيح النِّسائيِّ]

إلى السَّماءِ الدُّنيا، والاستواءِ على العَرْشِ...، فهذه ونظائِرُها صِفاتٌ لله عَزَّ وجَلَّ، ورد بها السَّمعُ، يجِبُ الإيمانُ بها، وإمرارُها على ظاهِرِها، مُعرِضًا فيها عن التَّأويلِ، مجتَنِبًا عن التَّشبيهِ، مُعتَقِدًا أنَّ الباريَ سُبحانَه وتعالى لا يُشبِهُ شَيءٌ مِن صِفاتِه صِفاتِ الخَلْقِ، كما لا تُشبِهُ ذاتُه ذواتِ الخَلْقِ، وعلى هذا مضى سَلَفُ الأمَّةِ وعُلَماءُ السُّنَّةِ، تَلَقَّوها جميعًا بالإيمانِ والقَبولِ."[1]

وقال أيضًا: "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ أَيْ: لِلَّذِينِ أَحْسَنُوا الْعَمَلَ فِي الدُّنْيَا الْحُسْنَى، وَهِيَ الْجَنَّةُ، وَزِيَادَةٌ: وَهِيَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللهِ الْكَرِيمِ، هَذَا قَوْلُ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَحُذَيْفَةُ، وَأَبُو مُوسَى، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ، وَعِكْرِمَةَ وَعَطَاءٍ، وَمُقَاتِلٍ، وَالضَّحَّاكِ، وَالسُّدِّيِّ."[2]

---

1 - [شرح السُّنَّة]

2 - [تفسير البغويِّ]

وقال الشَّافعيُّ رحمهُ الله: "لله تبارَك وتَعالى أسماءٌ وصِفاتٌ جاءَ بها كِتابُه، وأخْبَرَ بها نبيُّه ﷺ أمَّتَه...، وأنَّ له وجهًا بقَولِه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، وقَوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾."[1]

وقَال الطَّبريُّ رحمهُ الله: "﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ أي النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ رَبِّهِمْ."[2]، ويروي هذا التَّفسير عن ابن المُبَارك، وسُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، وحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، ومُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، ومُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، ومَعْمَرٍ، وثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، وابْنُ بَشَّارٍ، والْحَسَنِ، وغيرهم...

وقالَ أيضًا: "وأنَّ له وجهًا لقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، وقوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾."[3]

---

1 - [طبقات الحنابلة]

2 – [تفسير الطَّبري]

3 [التَّبصير في معالم الدِّين]

وقَال أبو القَاسم اللَّالكائيُّ رحمهُ الله: "سِيَاقُ مَا دَلَّ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ عَلَى أَنَّ مِنْ صِفَاتِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: الْوَجْهُ وَالْعَيْنَيْنِ وَالْيَدَيْنِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، وَقَالَ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾."[1]

وقَالَ الآجريُّ: "حَدَّثَنَا أَبُو شُعَيْبٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ الْحَرَّانِيُّ قَالَ: نا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمَدِينِيُّ قَالَ: نا حَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي زَكَرِيَّا، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ الْبَجَلِيِّ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ قَالَ: «النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللهِ تَعَالَى»."[2]

وقَال الإمامُ عبدُ الله ناقلًا عن أبيهِ المُبجَّل أحمد بن حنبل: "حَدَّثَنِي أَبِي، نا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، نا إِسْرَائِيلُ، عَنْ ثُوَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً الَّذِي يَنْظُرُ إِلَى جِنَانِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُرِهِ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ سَنَةٍ، وَإِنَّ أَكْرَمَهُمْ عَلَى

---

[1] [شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة]

[2] - [الشَّريعة]

اللهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾."[1]

وقَالَ أَبُو الْحَارِثِ الصَّائِغُ: "قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ -الإمامُ أَحمد-: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، قُلْتُ لِرَجُلٍ: لَا نَقُولُ: إِنَّ وَجْهَ اللَّهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، فَقَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْكِتَابُ نَصٌّ. فَارْتَعَدَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَقَالَ: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، سُبْحَانَ اللهَ، هُوَ الْكُفْرُ بِاللهِ، أُحَدِّثُكَ فِي أَنَّ وَجْهَ اللَّهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؟»"[2]

وقَال حربُ الكرمانيُّ: "هذا مذهبُ أئمَّةِ العلم، وأصحابِ الأثر، وأهلِ السُّنَّة المتمسِّكين بعُروقِها المعروفين بها، المُقتدى بهم فيها، من لدُن أصحابِ النَّبيِّ ﷺ إلى يومِنا هذا. وأدركتُ مَن أدركتُ من علماءِ أهلِ العراق، والحجاز، والشام، وغيرِهم عليها، فمَن خالَف شيئًا من هذه المذاهب، أو طعَن فيها، أو عابَ قائلَها، فهو مخالفٌ، مبتدِعٌ، خارجٌ من الجماعة، زائلٌ عن منهجِ السُّنَّة وسبيلِ الحق، وهو مذهبُ أحمد، وإسحاقَ بنِ إبراهيمَ

---

1 - [السُّنَّة]

2 - [الإبانة الكبرى]

بنِ مخلد، وعبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ الحُميدي، وسعيدِ بنِ منصور، وغيرِهم مِمَّن جالسْنا، وأخذْنا عنهم العلم، فكان من قولِهِم: ... وينظُرُ أهلُ الجنَّةِ إلى وجهِه."[1]

وقَالَ ابن خزيمة رحمهُ الله بعدمَا أورد جملةً من الآيات تثبتُ الوجهَ لله: "فنحنُ وجميعُ عُلمائِنا من أهلِ الحِجازِ وتِهامةَ واليَمَنِ والعِراقِ والشَّامِ ومِصرَ، مذهبُنا: أنَّا نُثبِتُ لله ما أثبتَه اللهُ لنَفْسِه، نُقرُّ بذلك بألْسنتِنا، ونُصدِّقُ ذلك بقُلوبِنا؛ مِن غيرِ أنْ نُشبِّهَ وَجْهَ خالِقِنا بوَجْهِ أحدٍ من المخلوقينَ، عزَّ ربُّنا أنْ يُشبِهَ المخلوقين، وجلَّ ربُّنا عن مقالةِ المُعطِّلين."[2]

وقالَ ابنُ منده رحمه الله: "مِن صِفاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ التي وصَفَ بها نفْسَه قَولُه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، وقال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، وكان النبيُّ ﷺ يَستعيذُ بوَجْهِ اللهِ من النَّارِ والفِتنِ كلِّها، ويَسألُ به."[3]

---

[1] - [إجماع السَّلف في الاعتقاد]

[2] – [التَّوحيد لابن خُزيمة]

[3] – [التَّوحيد لابن منده]

والنُّصوصُ في هذَا كثيرةٌ جدًّا، وإنَّمَا نقلتُ بعضهَا لأُبيِّنَ أنَّ الإجماع منعقدٌ على إثباتِ صفةِ الوجهِ لله عزَّ وجلَّ، فلا يجوزُ لمشهورٍ أو غيرهِ أن يخالفَ هذا الإجماع بأيِّ شكلٍ من الأشكال.

~ إشكالٌ ودفعهُ:

قد يَأتي معترِضٌ فيقول: "إذا كان المرادُ بالآية هو وجهَ الله لا ذاتَ الله، فإنَّ يدَ الله ستهلك، وعينَ الله ستهلك، وهكذا في باقي الصِّفات، لأنَّ الله يقول: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾."

فأقولُ: هذا كلامٌ فاسدٌ، والجوابُ عنه يكون من وجوهٍ عدَّة:

الوجهُ الأوَّل: المتقرِّر عند أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ تفسيرَ الصِّفة بلازمِها مع الإيمانِ بأصلها توضيحٌ وبيان، وتفسيرَ الصِّفة بلازمِها مع جحودِ أصلها تعطيلٌ وتحريف. فنحنُ لا نُنكِر أنَّ المرادَ العامَّ بالآية هو بقاءُ الله بذاتِه، وأنَّه لا يموتُ كخلقِه، هذا صحيحٌ لا نُنكِره، وهو توضيحٌ وبيان، ولكنَّنا لا ننفي صفةَ الوجه بحجَّة أنَّ المرادَ العامَّ بالآية هو بقاء ذات الله! فهنالك تفسيرٌ عامٌّ للآية وتفسيرٌ خاصٌّ: فالعامُّ: أنَّ الله بذاته باقٍ لا يفنى جلَّ جلالُه. والخاصُّ: أنَّ لله وجهًا متَّصفًا بالجلال والإكرام.

فلا تَسُقِ المعنى الأوَّل لتضرِبَ به الثاني كما يفعلُ أهلُ البدع في اقتطاعِ تفاسير بعضِ الصَّحابة لبعضِ آياتِ الصِّفات، بل كلاهما -العامُّ والخاصُّ- صحيحان مقبولان، فنفهمُ من الآية أنَّ الله بذاتِه باقٍ لا يفنى كباقي خلقِه، ونفهمُ منها أنَّ له وجهًا موصوفًا بالجلال والإكرام يليقُ به سبحانه، فلا تعارُض.

الوجهُ الثَّاني: إنَّ مَن يقولُ هذا فقد أُوتي من جهلِه بكلامِ العرب، فإنَّ العربَ تُطلِق الوجهَ أحيانًا وتريد به الذاتَ كلَّها بما فيها الوجه:

قَال ابن منظورٍ: "وَيُقَالُ: هذَا وجهُ الرَّأيِ. أي: هُوَ الرَّأيُ نفسُهُ."[1]

وقَال الفيروزآباديُّ: "وَجهٌ: معروف، ومستقبل كلِّ شيء. أَوْجُهٌ ووُجُوهٌ وأُجُوهٌ، ونَفْسُ الشيءِ"[2]

---

1 – [لسانُ العرب]

2 – [القاموس المحيط]

وجاءَ في المُعجمِ الوَسيط: "والوجهُ: نفسُ الشَّيءِ وذاتُهُ."

وقَال الرَّازيُّ اللُّغويُّ: "(الْوَجْهُ) مَعْرُوفٌ وَالْجَمْعُ (الْوُجُوهُ) . (وَالْوَجْهُ) (وَالْجِهَةُ) بِمَعْنًى. وَالْهَاءُ عِوَضٌ مِنَ الْوَاوِ. وَيُقَالُ: هَذَا (وَجْهُ) الرَّأْيِ أَيْ هُوَ الرَّأْيُ نَفْسُهُ."[1]

لا سيَّما أنَّ بقَاءَ وجه الله يَلزَمُ منه بقاء الذَّات، لأنَّ المتقرِّر في القواعد أنَّ القولَ في الصِّفة الواحدة كالقولِ في باقي الصِّفات.

فإن كان الوجهُ سيبقى، فيدُ الله ستبقى، وساقُ الله ستبقى، وعينُ الله ستبقى، وهكذا...، لأنَّ الله بصفاتِه وأسمائِه لا يموتُ ولا يَفنى، وإنَّما عَبَّر بالوجه عن الذات لعِظم صفةِ وجهِه سبحانه، ولأنَّ العربَ تستعمل هذا الأسلوب.

قال الشَّيخ مُحمَّد بن خليل حسن هرَّاس: "وَالنُّصُوصُ فِي إِثْبَاتِ الْوَجْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا تُحصى كَثْرَةً، وَكُلُّهَا تَنْفِي تَأْوِيلَ المعطِّلة الَّذِينَ يُفَسِّرُونَ الْوَجْهَ بِالْجِهَةِ أَوِ الثَّوَابِ أَوِ الذَّاتِ، وَالَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَقِّ أَنَّ الْوَجْهَ صفةٌ غيرُ الذَّاتِ، وَلَا يَقْتَضِي إِثْبَاتُهُ كَوْنَهُ تَعَالَى

[1] - [مختار الصِّحاح]

مُرَكَّبًا مِنْ أَعْضَاءٍ، كَمَا يَقُولُهُ المجسِّمة، بَلْ هُوَ صِفَةٌ للهِ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ، فَلَا يُشْبِهُ وَجْهًا وَلَا يُشْبِهُهُ وَجْهٌ. واستدلَّت المعطِّلة بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَجْهِ الذَّاتُ؛ إِذْ لَا خُصُوصَ لِلْوَجْهِ فِي الْبَقَاءِ وَعَدَمِ الْهَلَاكِ.

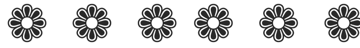
وَنَحْنُ نُعَارِضُ هَذَا الِاسْتِدْلَالَ بِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ للهِ عَزَّ وجلَّ وجهٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَمَا جَاءَ اسْتِعْمَالُ هَذَا اللَّفْظِ فِي مَعْنَى الذَّاتِ؛ فَإِنَّ اللَّفْظَ الْمَوْضُوعَ لِمَعْنًى لَا يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي مَعْنًى آخَرَ إِلَّا إِذَا كَانَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيُّ ثَابِتًا لِلْمَوْصُوفِ، حَتَّى يُمْكِنُ لِلذِّهْنِ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنَ الْمَلْزُومِ إِلَى لَازِمِهِ.

عَلَى أَنَّهُ يُمْكِنُ دَفْعُ مَجَازِهِمْ بِطَرِيقٍ آخَرَ؛ فَيُقَالُ: إِنَّهُ أَسْنَدَ الْبَقَاءَ إِلَى الْوَجْهِ، وَيَلْزَمُ مِنْهُ بَقَاءُ الذَّاتِ؛ بَدَلًا مِنْ أَنْ يُقَالَ: أَطْلَقَ الْوَجْهَ وَأَرَادَ الذَّاتَ. وَقَدْ ذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ نَقْلًا عَنِ الْخَطَّابِيِّ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَضَافَ الْوَجْهَ إِلَى الذَّاتِ، وَأَضَافَ النَّعْتَ إِلَى الْوَجْهِ، فَقَالَ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾؛ دلَّ عَلَى أَنَّ ذِكْرَ الْوَجْهِ لَيْسَ بِصِلَةٍ، وَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ صفةٌ لِلْوَجْهِ، وَالْوَجْهُ صفةٌ للذَّات."[1]

[1] – [شرح العقيدة الواسطيَّة]

الوجهُ الثَّالث: إنَّ من عادةِ أهلِ البدع أن يتمسَّكوا بالمتشابهاتِ ليضرِبوا بها المُحكمات، وهذَا ما يحصلُ هنا، وأنَا لا أدري أيُّ منهجٍ علميٍّ مُحايدٍ هذَا الذي ينصُّ على نفي صفةٍ ثبتت بأدلَّةٍ صحيحةٍ صريحةٍ من القرآنِ والسُّنَّةِ والإجماع بدليلٍ واحدٍ مجملٍ عامٍّ؟! هذا تحكُّمٌ لا يُقبَل، فضلًا على أن يُعتَقَد.

فإذَا تقرَّر هذَا = عُلِمَ بطلانِ هذه الشُّبهةِ من أصلهَا، وصحَّة مذهب أهل السُّنَّةِ في إثباتِ صفةِ الوجه لله، والله المُوفِّق.



هَل نزولُ اللهِ إِلى السَّماءِ الدُّنيَا حقيقيٌّ؟

قَالَ مشهورُ فوَّاز: كذلكَ حديثُ النُّزول، إنَّ الله ينزلُ في الثُّلثِ الأخيرِ من اللَّيل، إمَّا أن تقول: اللهُ أعلم بمعنى النُّزول، لا أدري مَا معنى النُّزول، وقطعًا لا يُرادُ بذلك النُّزول المتبادر إلى الذِّهن، هذا يجب أن تشيله من ذهنك، ممنوع تتخيَّل للحظة إنُّو معنى النُّزول أي: النُّزول المتبادر إلى الذِّهن، قطعًا لا يجوز، ممنوع، إنت لَمَّا تقول: لا أعلم مَا معنى ينزل، هذَا منهجُ السَّلف، لا أعلم مَا معنى ينزل، هي من المُتشابه الذي لا يُدرك مَعناه، معرفشِ معنى ينزل، ولكن مع القَطع أنَّه لا يُرادُ بذلك ظاهرُ اللَّفظ، ولا يُراد بذلك نزول حقيقيٌّ، وهو المتبادر إلى الذِّهن، وإمَّا أن تتأوَّل، كَأن تقول: هذا نزولُ رحمَة، أو نزولُ أمرٍ...، أمَّا لا يجوز أن تقول أنَّ سبحانه وتعالى ينزلُ بنفسه نزولًا مفهوم المعنى، يعني النُّزول إلِّي هو متبادر يعني، يُخطئ من يقول: أنَّ الله ينزل بنفسِهِ نزولًا حقيقيًّا لكن لا نعرفُ كيفيَّة النُّزول، البعضُ قد يقول: ما الحكم لو قُلنا أنَّ الله ينزل بنفسِهِ نزولًا حقيقيًّا لكن لا نعرفُ كيف ينزل؟ لا، أيضًا لا يجوز."[1]

---

[1] – 18:15-20:05

بعدما أصَّلَ مشهور فوَّاز تأصيلاته التي تمَّ ذكرها والرَّدُّ عليها، من كون مذهبِ السَّلف هو التَّفويض، ومذهبِ الخَلَف هو التَّأويل، وأنَّ الواجبَ صرفُ آياتِ وأحاديثِ الصِّفات عن ظاهرها؛ كونها تُوهِم التَّشبيهَ والتَّجسيم -عنده- بدأ بنفي الصِّفات الثَّابتة لله عزَّ وجلَّ واحدةً تِلوَ الأخرى، حتى وصل إلى صفة النُّزول لله سبحانه وتعالى.

وصِفةُ النُّزول ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ، وردت في ذلك أحاديثُ كثيرة، وقد أجمع السَّلفُ على إثبات هذه الصِّفة لله سبحانه، فنحن نُثبتها، ونُثبِت لله نزولًا حقيقيًا يليق به سبحانه، دون أن نتدخَّل في كيفيَّة هذا النُّزول، فنزولُ الله ليس كنزول البشر.

وأمَّا الجوابُ عن كلامه فيكون من وجوهٍ عدَّة:

الوجهُ الأوَّل: قد ذكرتُ سابقًا أنَّ المتقرِّر في القواعد أنَّ العقيدةَ تُؤخذ من القرآن والسُّنَّة بفَهم سلف الأمَّة، لا بفهم المتكلِّمين والحداثيِّين والفلاسفة، وكلُّ فهمٍ خالف إجماعَ الأمَّة فهو باطلٌ لا يُلتفتُ إليه.

الوجهُ الثَّاني: قد ذكرتُ سابقًا أيضًا أنَّه لا يصحُّ أن يُصرَفَ اللَّفظُ عن ظاهرِه بغير دليل، وهذا ما يُعرَف بالتأويل الفاسد، فإنَّه طاغوتٌ يفتح البابَ لكلِّ زنديقٍ يريد أن يعبث بالشَّريعة كما يشاء، وهو الطَّاغوتُ الفاسد الذي حذَّر منه ابن القيِّم، فقال: "ثمَّ من أعظم جنايات التَّأويل على الدِّين وأهله وأبلغها نكايةً فيه أنَّ المتأوِّل يجد بابًا مفتوحًا لما يقصده من تشتيت كلمة أهل الدِّين وتبديد نظامهم، وسبيلًا سهلة إلى ذلك، فإنه يحتجر من المسلمين بإقراره معهم بأصل التَّنزيل، ويدخل نفسه في زُمرة أهل التَّأويل، ثمَّ بعد ذلك يقول ما شاء ويدَّعي ما أحبَّ، ولا يُقدَر على منعه من ذلك لادِّعائه أنَّ أصل التَّنزيل مشتركٌ بينك وبينه، وأنَّ عامَّة الطَّوائف المُقِرَّة به قد تأوَّلت كلُّ طائفةٍ لنفسها تأويلًا ذهبت إليه، فهو يُبدِي نظيرَ تأويلاتهم ويقول: ليس لك أن تبدي في التَّأويل مذهبًا إلَّا ومثله سائغ لي، فما الذي أباحه لك وحظَرَه عليَّ؟ وأنا وأنت قد أقررنا بأصل التَّنزيل، واتَّفقنا على تسويغ التَّأويل؟ فلِمَ كان تأويلك مع مخالفته لظاهر التَّنزيل سائغًا، وتأويلي أنا مُحرَّمًا؟ فتعلُّقه بهذا أبلغُ مكيدةٍ يستعملها، وأنكى سلاحٍ يحارب به."[1]

---

[1] - [الصَّواعق المُرسلة]

الوجهُ الثَّالث: قولُ مشهورٍ في النُّزول يُخالف الأحاديثَ النبويَّة المستفيضة التي جاءت مُخبِرةً بأنَّ الله ينزل إلى السَّماء الدُّنيا، كما أنَّه يُخالف إجماعَ السَّلف في إثبات هذه الصِّفة لله عزَّ وجلَّ.

فقد قَال النَّبيُّ ﷺ: "يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْأَلُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَستَغْفِرُني فأغْفِرَ له؟"[1]

وَقَال ﷺ: "لولا أنْ أشُقَّ على أُمَّتي؛ لأَمَرْتُهم بالسِّواكِ عندَ كُلِّ صَلاةٍ، ولأخَّرتُ العِشاءَ إلى ثُلُثِ اللَّيلِ الأوَّلِ، فإذا مَضى ثُلُثُ اللَّيلِ الأوَّلُ، هَبَطَ الربُّ جَلَّ ثناؤُه إلى سَماءِ الدُّنيا، فلم يَزلْ هنالك حتى يطلُعَ الفَجرُ، يقولُ قائِلٌ: ألَا سائِلٌ يُعطى، ألَا داعٍ يُستجابُ له، ألَا سَقيمٌ يَستَشْفي فيُشْفى، ألَا مُذنِبٌ يَستغفِرُ فيُغفَرُ له؟"[2]

[1] – [صحيح البخاريِّ]

[2] – [شرحُ ابن ماجه لمغلطاي]

وقال الإِمامُ الحبرُ عبد الله بن عبَّاسٍ رضي الله عنه: "وينزل الله عزَّ وجلَّ إلى السَّماء الدُّنيا فينادي منادٍ: لمن الملكُ اليوم؟ للهِ الواحدِ القهَّار."[1]

وقَد سُئلَ الإمامُ أبو حنيفة عن حديثِ نُزولِ الرَّبِّ تبارك وتعالى فقَال: "يَنزِلُ بلا كيفٍ."[2]

وقال الإمامُ الشَّافعيُّ: "الْقَوْلُ فِي السنة التي أَنَا عَلَيْهَا، وَرَأَيْتُ أَصْحَابَنَا عَلَيْهَا، أَهْلَ الْحَدِيثِ الَّذِينَ رَأَيْتُهُمْ فَأَخَذْتُ عَنْهُمْ، مِثْلَ سُفْيَانَ، وَمَالِكٍ، وَغَيْرِهِمَا، الإِقْرَارُ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ...وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ فِي سَمَائِهِ، يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ كَيْفَ شَاءَ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَيْفَ شَاءَ."[3]

وَقال: "وأنَّه يَهبِطُ كُلَّ ليلةٍ إلى سماءِ الدُّنيا، بخَبَرِ رسولِ الله ﷺ بذلِك."[4]

---

1 – [السُّنَّة لعبد الله]

2 – [الأسماء والصِّفات للبيهقيِّ]

3 – [إثبات صفة العلو]

4 – [اجتماع الجيوش الإسلاميَّة]

وقَال الإِمامُ إسحاقُ بنُ منصورٍ الكَوسَج ناقلًا عن الإمامِ أحمد: "قلتُ لأحمد رَضِيَ اللهُ عنه: (ينزِلُ رَبُّنا تبارك وتعالى اسمُه كُلَّ ليلةٍ حين يبقى ثُلُثُ اللَّيلِ الأخيرُ إلى سماءِ الدُّنيا)...أليس تقولُ بهذه الأحاديثِ؟ قال الإمامُ أحمد: (كُلُّ هذا صحيحٌ)."[1]

وقال الإمامُ ابن جريرٍ الطَّبريُّ: "اختُلِفَ في صفةِ إتيانِ الرَّبِّ تبارَك وتعالى، الَّذي ذكَرَه في قَولِه: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ) فقال بعضُهم: لا صفةَ لذلك غيرُ الَّذي وصَفَ به نفسَه عزَّ وجلَّ مِن المَجيءِ والإتيانِ والنُّزولِ، وغيرُ جائزٍ تكلُّفُ القولِ في ذلك لأحَدٍ إلَّا بخبرٍ مِن اللهِ جلَّ جلالُه، أو مِن رسولٍ مُرسَلٍ، فأمَّا القولُ في صِفات اللهِ وأسمائِه فغيرُ جائزٍ لأحَدٍ مِن جهةِ الاستخراجِ إلَّا بما ذكَرْنا، وقال آخَرون:..."[2] ثم رجَّحَ القولَ الأوَّلَ.

وقَال الإمامُ ابنُ أبي زمنين: "ومن قَولِ أهلِ السُّنَّةِ: أنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ ينزِلُ إلى سماءِ السَّماءِ الدُّنيا، ويؤمِنون بذلك، من غيرِ أن يَحُدُّوا فيه حَدًّا."[3]

---

[1] – [مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه]

[2] – [تفسير الطَّبري]

[3] – [أصول السنة]

وقال الإِمامُ إسحاقُ بن راهويه: "جمعنِي وهذا المبتدع -إبراهيمُ بن أبي صالح- مجلس الأمير عبدُ الله بن طاهر، فسألني الأميرُ عن أخبارِ النُّزول فسردتُّها، فقال إبراهيمُ: كفرتُ بربٍّ ينزل من سماءٍ إلى سماء، فقلتُ: آمنت بربٍّ يفعلُ ما يشاء! فرضي عبدُ الله كلامي، وأنكرَ على إبراهيم."[1]

وقال الإمامُ ابن خزيمة: "نَشْهَدُ شَهَادَةَ مُقِرٍّ بِلِسَانِهِ، مُصَدِّقٍ بِقَلْبِهِ، مُسْتَيْقِنٍ بِمَا فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ مِنْ ذِكْرِ نُزُولِ الرَّبِّ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَصِفَ الْكَيْفِيَّةَ، لِأَنَّ نَبِيَّنَا الْمُصْطَفَى لَمْ يَصِفْ لَنَا كَيْفِيَّةَ نُزُولِ خَالِقِنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، أَعْلَمَنَا أَنَّهُ يَنْزِلُ وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا لَمْ يَتْرُكْ، وَلَا نَبِيُّهُ عليه السَّلام، بَيَانَ مَا بِالْمُسْلِمِينَ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ فَنَحْنُ قَائِلُونَ، مُصَدِّقُونَ بِمَا فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ مِنْ ذِكْرِ النُّزُولِ غَيْرِ مُتَكَلِّفِينَ الْقَوْلَ بِصِفَتِهِ أَوْ بِصِفَةِ الْكَيْفِيَّةِ، إِذِ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَصِفْ لَنَا كَيْفِيَّةَ النُّزُولِ وَفِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ مَا بَانَ وَثَبَتَ وَصَحَّ: أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا فَوْقَ سَمَاءِ الدُّنْيَا، الَّذِي أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ أَنَّهُ يَنْزِلُ إِلَيْهِ، إِذْ مُحَالٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ أَنْ يَقُولَ: نَزَلَ مِنْ أَسْفَلَ إِلَى أَعْلَى، وَمَفْهُومٌ فِي الْخِطَابِ أَنَّ النُّزُولَ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ."[2]

---

[1] - [الأسماء والصِّفات للبيهقيِّ]

[2] - [التَّوحيد]

والنُّصوصُ في هذَا كثيرةٌ، ولكن في هذَا كِفاية.

الوجهُ الرابعُ: تأويلُ نزولُ الله بنزولِ أمرهِ أو رحمتهِ من أفسدِ ما يكون، فهذا عدولٌ عن ظاهرِ النَّص بغير دليل، فما الدَّليلُ على أنَّ معنى نزول الله هو نزولُ رحمتهِ أو أمرهِ؟ ثمَّ كيف للمسلمِ أن يدعو رحمةَ اللهِ أو أمرهِ إذَا نزلت إلى السَّماء الدُّنيا؟ وكيف تقولُ رحمةُ اللهِ: "من يدعونِي فأستجيبُ له؟" هذَا من أبطلِ ما يكون!

قَال الإِمام الدَّارميُّ: "ثمَّ ذهبت تنكر النُّزول وَتَدْفَعُهُ بِضُرُوبٍ مِنَ الْأَبَاطِيلِ وَالْأَضَالِيلِ مِنْ كَلَامِ الْمَرِيسِيِّ وَابْنِ الثَّلْجِيِّ وَنُظَرَائِهِمْ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ، وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَيْرِ خَبَرٍ، كَأَنَّكَ تَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُهُ، وَقَلَّ حَدِيثٌ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لدعواكم من اللَّهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ حَدِيثِ النُّزُولِ، لِمَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: لَا يَخْلُو مِنْهُ فَكَيْفَ يَنْزِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ مَنْ هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ؟!

فَقُلْنَا لَهُ: أَيُّهَا الْمُعَارِضُ، أَمَّا لَفْظُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَنْقُضُ مَا حَكَيْتَ عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ فَإِنْ قَالَهُ فَالْحَدِيثُ يُكَذِّبُهُ وَيُبْطِلُ دَعْوَاهُ؛ لِأَنَّ لَفْظَ الْحَدِيثِ: «إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ شَطْرُ اللَّيْلِ

نَزَلَ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ دَاعٍ، فَأُجِيب؟ هَل من مُسْتَغْفِر أغفر لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ» وَقَدْ جِئْنَا بِالْحَدِيثِ بِإِسْنَادِهِ فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ، فَلَوْ كَانَ عَلَى مَا حَكَيْتَ عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ وَادَّعَيْتَهُ أَنْتَ أَيْضًا أَنَّهُ أَمْرُهُ وَرَحْمَتُهُ وَسُلْطَانُهُ، مَا كَانَ أَمْرُهُ وَسُلْطَانُهُ يَتَكَلَّمُ بِمِثْلِ هَذَا وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى اسْتِغْفَارِهِ وَسُؤَالِهِ دُونَ اللهِ، وَلَا الْمَلَائِكَة يدعونَ النَّاسَ إِلَى إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ وَإِلَى الْمَغْفِرَةِ مِنْهَا لَهُمْ، وَإِلَى إِعْطَاءِ السُّؤَالِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى وَلِيَ ذَلِكَ دُونَ سِوَاهُ.

وَأُخْرَى أَنَّ أَمْرَهُ وَمَلَائِكَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَسُلْطَانَهُ دَائِبًا يُنَزَّلُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ لَا يَفْتُرُ وَلَا يَنْقَطِعُ فَمَا بَالُ ثُلُثِ اللَّيْلِ خُصَّ بِنُزُولِهِ وَرَحْمَتِهِ وَأَمْرِهِ مِنْ بَيْنِ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؟ حَتَّى وَقَّتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِذَلِكَ وَقْتًا آخَرَ فَقَالَ: «إِلَى أَنْ يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ» فَفِي دَعْوَاكَ: تَنْزِلُ رَحْمَتُهُ عَلَى النَّاسِ فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ، فَإِذَا انْفَجَرَ الْفَجْرُ رُفِعَتْ فِي دَعْوَاكَ، هَذَا وَاللهِ تَفْسِيرٌ مُحَالٌ، وَتَأْوِيلُ ضَلَالٍ، يَشْهَدُ عَلَيْهِ ظَاهِرُ لَفْظِ الْحَدِيثِ بِالْإِبْطَالِ."[1]

---

[1] – [النَّقضُ على المرِّيسيِّ]

فقد بيَّن الإمامُ الدَّارميُّ أنَّ تأويلَ نزولُ الله برحمتهِ وأمرهِ تأويلٌ فَاسد، لا يدلُّ عليه ظاهر النَّصِّ، ولا النُّصوص الأُخرى إن جُمِعت إليه، فلله درُّه من إمام، أجادَ وأحسن، والله المُستعَان.



مَا معنَى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾؟

قَالَ مشهور فوَّاز: "نحن نقول للهِ استواء، نثبتُ الاستواء لله تعالى، لكن ما معنى الاستواء؟ اللهُ أعلم، لا ندري ما معنى الاستواء، وقطعًا لا يرادُ بذلك ظاهرَ اللَّفظ، نقول: للهِ استواء، مَا معناه؟ أنا لا أُدرك... نقول: لا نعرفُ المعنى، اللهُ أعلم بالمعنى، هذا أسلمُ شيء، اللهُ أعلم بالمعنى، وقطعًا لا يُراد الظَّاهر، قطعًا، لأنُّو بصير تشبيه، وإمَّا أن تتأوَّل ذلك، بمعنى: الاستيلاء، بمعنى: القهر والغلبة، يُقال مثلًا: استوى الملكُ على العرشِ، فما معنى استوى؟ ليس معنى استوى الملك على العرش يعني جلسَ على العرش، وانَّما معنى الاستواء القهر والغلبة، القهر والغلبة، هذا التَّأويل، فإمَّا أن تفوِّض وإمَّا أن تتأوَّل."[1]

هذَا كلامهُ بتمامهِ، والجوابُ عن كلامهِ يكونُ من وجوهِ عدَّة:

[1] – 20:50–22:34

الوجه الأوَّل: لا إشكالَ في أنَّك تجهلُ معنى كلمةِ استوى، ولكنَّ الإشكالَ في أنَّك تتكلَّمُ في دينِ اللهِ عزَّ وجلَّ بغيرِ علمٍ. فإن كنتَ لا تعلمُ ما معنى كلمةِ استوى، فالأولى أن تسألَ أهلَ العلمِ، أو أن تقرأَ في تفاسيرِ السلفِ على الأقلِّ. أمَّا أن تتكلَّمَ بكلامٍ لا يؤيِّدُه قرآنٌ ولا سُنَّةٌ ولا لسانٌ عربيٌّ، فهذا غيرُ مقبولٍ.

وإذا رجعنا إلى السلفِ رضيَ اللهُ عنهم وجدناهم يفسِّرون كلمةَ استوى بهذه المعاني السَّبع:

١- العلوُّ: قَال البخاريُّ: "وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿اسْتَوَى﴾ عَلَا ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾."

٢- الارتفاعُ: قال البخاري: "قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: ﴿استوى إلى السماء﴾: ارتفع."[1]

٣- الصُّعود: قال البغويُّ: "﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾...وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: صَعَدَ."[2]

---

[1] - [صحيح البخاري]

[2] - [تفسير البغوي]

٤- الاستقرار: قال البغويُّ: "﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ قَالَ الْكَلْبِيُّ وَمُقَاتِلٌ: اسْتَقَرَّ."[1]

٥- الفوقيَّة: قال الذَّهبيُّ: "عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ الْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ من أَعمالكُم."[2]

٦- الجلوسُ: قال الدِّشتيُّ: "عن عباد بن منصور قال: سألت الحسن وعكرمة عن قوله: {الرحمن على العرش استوى} قالا: جالس."[3]

٧- القعودُ: قال ابن القيِّم: "وفي تفسير السدِّي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾: قال: قعد."[4]

---

1 - [تفسير البغوي]

2 - [العلوُّ للعليِّ الغفَّار]

3 - [إثبات الحدِّ لله]

4 - [اجتماع الجيوش الإسلامية]

قال الشَّيخ سلطان العميريُّ: "فَسَّر أئمَّةُ السَّلفِ مَعنى اسْتِواءِ اللهِ بستَّةِ مَعانٍ -الأصلُ أنَّها سبعةٌ ولكنَّه جعل الجلوسَ والقعودَ بمعنًى واحِد-، هي:

المعنى الأوَّل: العُلوُّ؛ قالوا: (ثُمَّ اسْتَوىٰ على العَرشِ يَعني: عَلا)، وهذا التَّعبيرُ رُويَ عن مُجاهِدِ بنِ جَبرٍ، وقالَه أبو العَبَّاسِ بنُ ثَعلبٍ، وغَيرُهم.

المعنى الثَّاني: ارْتَفَع؛ وهذا القولُ عَبَّرَ به ابنُ عبَّاسٍ، وأبو العالِيَةِ، والحَسَنُ البَصريُّ، والخَليلُ بنُ أحمَدَ، وغَيرُهم.

المعنى الثَّالث: صَعِد؛ وعَبَّرَ بهذا التَّعبيرِ أبو عُبَيدٍ القاسِمُ بنُ سَلَّامٍ، وأبو عُبَيدةَ مَعمَرُ بنُ المُثَنَّى، والفَرَّاءُ وغَيرُهم.

المعنى الرَّابع: اسْتَقَرَّ؛ ومِمَّن عَبَّرَ بهذا التَّعبيرِ ابنُ عبَّاسٍ، ومُجاهدٌ، والكَلبيُّ، وابنُ المُبارَكِ، وابنُ قُتَيْبةَ، وابنُ عبدِ البَرِّ، والقَصَّابُ، وأبو الحَسَنِ الكَرجِيُّ، وغَيرُهم.

المعنى الخامِس: فَوق؛ وقد وَرَدَ اسْتِعمالُ لَفظةِ «فَوق» في التَّعبيرِ عن الاسْتِواءِ عن عَدَدٍ مِن أئمَّةِ السَّلفِ، ومِمَّنِ اسْتَعملَه عِكرِمةُ مَولى ابنِ عبَّاسٍ، ومَالِكُ بنُ دينارٍ، والضَّحَّاكُ بنُ مِزاحِمٍ، وجَريرُ بنُ عُطَيَّةَ الخَطْفيُّ، وغَيرُهم.

المعنى السَّادس: الجُلوسُ والقُعودُ؛ وقد جاءَ اسْتِعمالُ هذا اللَّفظِ في عَدَدٍ مِن الأحاديثِ المَرفوعَةِ، وعلى القَولِ بعدمِ ثُبوتِها، فقد جاءَ اسْتِعمالُ هذا اللَّفظِ عن عَدَدٍ مِن أئمَّةِ السَّلفِ، ومِمَّن رُويَ عنه اسْتِعمالُ هذا اللَّفظِ: ابنُ مَسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ، والحَسَنُ البَصريُّ، وعِكرِمةُ مَولى ابنِ عبَّاسٍ، وعُمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، ومُجاهِدٌ، وسُفيانُ الثَّوريُّ، ووَكيعٌ، والإمامُ أحمدُ، والدَّارِميُّ، وغَيرُهم، والآثارُ الوارِدةُ عنِ السَّلفِ في إثباتِ صِفةِ الاسْتِواءِ على العَرشِ والتَّعبيرِ عنهُ بالألْفاظِ السَّابقةِ كثيرةٌ مُستَفيضةٌ."[1]

وقد ذكرتُ دليلًا لكلِّ معنى من هذه المعاني على عجلةٍ، فليس مقصدي استقصاء ما ورد من تفاسيرِ السلفِ في هذه المعاني لكثرتِها، وإنَّما الشاهدُ أنَّ السلفَ فسَّروا كلمةَ استوى بهذه المعاني السَّبع، ولم يتطرَّقوا إلى ما تطرَّق إليه مشهور أبدًا، فلم يُنزِلِ اللهُ عزَّ وجلَّ قرآنًا عربيًّا فيه هدًى للنَّاسِ ورحمةً حتَّى نقفَ على صفاتِ ربِّنا دون أن نعلمَ معناها.

---

[1] – [العقود الذَّهبيَّة]

الوجهُ الثَّاني: ينقضُ مشهورٌ كلامَهُ بنفسِه فيقولُ: "اللهُ أعلمُ بالمرادِ، لا ندري ما معنى استوى"، ثمَّ في ذات الوقتِ يقولُ: "وقطعًا لا يُرادُ بذلك ظاهرُ اللَّفظ". فيا سبحانَ الله! أمَا قلتَ بنفسِك إنَّك لا تعلم؟ إذا كنتَ كذلك فقِفْ عند حدِّك، ما أدراك أنَّه لا يُرادُ بذلك ظاهرُ اللَّفظ؟ منطقٌ عجيب!

الوجهُ الثَّالث: تفسيرُ استوى بالقهرِ والقوَّةِ لا دليلَ عليه، وهو انحرافٌ عن ظاهرِ اللَّفظِ بغيرِ دليلٍ، وهو قولُ المعتزلةِ والجهميَّة، لا قولُ أهلِ السُّنَّة، لا سيَّما أنَّ تفسير استوى بالقوَّةِ والقهرِ لا يتناسبُ مع سياقِ الآية، على خلافِ ما لو وضعنا تفسيرَ السَّلفِ معها، فإنَّها ستكون:

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ صَعِدَ.

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ ارْتَفَعَ.

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَقَرَّ.

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ جَلَسَ.

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ عَلَا.

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ قَعَدَ.

والمعنى هنا مناسبٌ ومفهومٌ، أمَّا لو وضعنا تفسيرَ مشهور فوَّاز لصارت:

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ قَهَرَ.

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ غَلَبَ.

وهذا معنًى ناقصٌ غيرُ مفهومٍ، ولا يتناسبُ مع سياقِ الآية، فما معنى: "على العرشِ غلب"؟ غلبَ مَن؟ وما معنى: "عَلى العرشِ قهر"؟ قهرَ مَن؟ وماذا؟ فالمعنى ناقصٌ وغيرُ مفهومٍ.

قالَ ابنُ أبي شيبة: "رابعًا: أنَّهُ إذا فُسِّرَ الاستواءُ بالغَلَبَةِ والقَهرِ عادَ مَعنَى الآياتِ كلِّها إلى أنَّ اللهَ تعالى أعلمَ عِبادَهُ بأنَّهُ خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، ثمَّ غَلَبَ على العَرشِ بعدَ ذلكَ وقَهرَهُ وحَكَمَ عليهِ، أَفلا يَستَحي مِنَ اللهِ مَن في قلبِهِ أدنَى وِقارٍ للهِ ولكلامِهِ أن يَنسبَ ذلكَ

إليهِ، وأنَّهُ أرادَ بقولِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾: أيْ اعلموا يا عبادي أني بعدَ فَراغي مِن خَلقِ السَّماواتِ والأرضِ غَلَبتُ عَرشي وقَهرتهُ واستَوْليتُ عليهِ؟"[1]

وقال ابن بطَّال رحمه الله: "وَأَمَّا الِاسْتِوَاءُ، فَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي مَعْنَاهُ، فَقَالَتْ الْمُعْتَزِلَةُ: إِنَّهُ بِمَعْنَى الِاسْتِيلَاءِ وَالْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ ...، فَأَمَّا قَوْلُ مَنْ جَعَلَ الِاسْتِوَاءَ بِمَعْنَى الْقَهْرِ وَالِاسْتِيلَاءِ فَقَوْلٌ فَاسِدٌ، لِأَنَّ اللهَّ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ قَاهِرًا غَالِبًا مُسْتَوْلِيًا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾: يُقْتَضَى اسْتِفْتَاحُ هَذَا الْوَصْفِ، وَاسْتِحْقَاقُهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، كَمَا أَنَّ الْمَذْكُورَ فِي الْبَيْتِ إِنَّمَا حَصَلَ لَهُ هَذَا الْوَصْفُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَتَشْبِيهُهُمْ أَحَدَ الِاسْتِوَاءَيْنِ بِالْآخَرِ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَمُؤَدٍّ إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى كَانَ مُغَالَبًا فِي مُلْكِهِ، وَهَذَا مُنْتَفٍ عَنْ اللهَّ، لِأَنَّ اللهَّ تَعَالَى هُوَ الْغَالِبُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ."[2]

الوجهُ الرَّابعُ: وهو أنَّنا لا نُناقشُ مشهورًا بتفسيرِ كلمةِ (استوَى)، وإنَّما نُناقشهُ بتفسير كلمةِ (استوى علَى) فكلمةُ (استوى) لوحدهَا قد تحتملُ عدَّةُ معانٍ، أمَّا كلمةُ (استوى على) فلا تحتملُ إلَّا ما ذكرنَا من المعاني السَّبع.

---

[1] - [العرش وما روي فيه]

[2] - [شرح صحيح البخاريِّ]

قال الشَّيخ سلطان العميريُّ: "إنَّ كثيرًا مِنَ المُتكلِّمينَ حينَ يَأتونَ إلى تَفسيرِ قَولِه تعالى: {ثُمَّ اسْتَوىٰ على العَرشِ} يَقولونَ: الاسْتِواءُ مُحتَمَلٌ لِمَعانٍ كثيرةٍ، ثُمَّ يَذكُرونَ تِلكَ المَعاني؛ ومِن ذلكَ قَولُ ابنِ العَرَبيِّ: "لَفظُ الاسْتِواءِ مُحتَمَلٌ لِخَمسَةَ عَشَرَ مَعنىً في اللُّغةِ، فأيُّها تُريدونَ؟ وأيُّها ظاهِرٌ مِنها؟".

وهذهِ مُغالَطَةٌ؛ لأنَّها تُوهِمُ بأنَّ مَحَلَّ الخِلافِ في مَعنى كَلِمَةِ "اسْتَوى" مِن حيثُ هي، وهذا خَطَأٌ؛ فَنَحنُ لا نُخالِفُهُ في مَعنى "اسْتَوى"، وإنَّما في مَعنى "اسْتَوى على"، فـ"اسْتَوى على" ليسَ لها في القُرآنِ خَمسَةَ عَشَرَ مَعنىً، وليسَ لها إلَّا مَعنىً واحِدٌ؛ وهو العُلوُّ والارْتِفاعُ."[1]

وفي هذا كِفايةٌ إن شاء اللهُ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.



[1] - [العقود الذَّهبيَّة]

هَل فوقيَّة الله معنويَّة أم مكانيَّة؟

قالَ مشهورُ فوَّاز: "لمَّا نقول: الله هو القاهرُ فوقَ عبادهِ، هذه فوقيَّة معنويَّة...، جيِّد؟ ولله المثل الأعلى، فنقول: وهو القاهرُ فوقَ عبادهِ، هذه فوقيَّة معنويَّة، لبيان التَّعالي في العظمة، لبيان العظمة، لبيانِ الكبرياء، لبيانِ الجلالة، وليس معنى ذلك فوقيَّة حسِّيَّة، فانتبه."[1]

هذا كلامُهُ بتمامِهِ، وهو يريدُ بذلك صَرفَ ما ورد من الآياتِ والأحاديثِ في إثباتِ عُلوِّ الله عزَّ وجلَّ الحقيقيِّ إلى الفوقيَّةِ المعنويَّة.

والمُرادُ بالفوقيَّةِ المعنويَّة: أي الفوقيَّةُ في العَظَمَةِ والقَدْرِ والجَلالَةِ ونحو ذلك؛ فاللهُ أعظمُ منك قَدْرًا، فهو فوقَك معنويًّا في صفةِ القَدْر، واللهُ أعظمُ منك جَلالَةً، فهو فوقَك في الجَلالَة، وهكذا...

---

[1] - 31:48-32:38

فكلُّ الآياتِ والأحاديثِ التي وردت في إثباتِ عُلوِّ اللهِ عزَّ وجلَّ عند مشهورٍ إنَّما يُرادُ بها الفوقيَّةُ المعنويَّةُ، لا المكانيَّةُ الحسِّيَّة.

ولا شكَّ أنَّ هذا الكلامَ باطِلٌ، والرَّدُّ عليه يكونُ من وُجوهٍ عدَّة:

الوجهُ الأوَّل: ما سبق من إيرادِ الآياتِ والأحاديثِ وإجماعِ السَّلفِ في إثباتِ عُلوِّ اللهِ عزَّ وجلَّ على عرشِه حقيقةً، ويُراجَع هذا في أوَّلِ الرِّسالة.

الوجهُ الثَّاني: لم يسبِقْ مشهورًا إلى هذا التَّأويلِ الفاسِد أحدٌ من السَّلفِ -ممَّا أعلمُ- فلم يُفسِّرْ أحدٌ من السَّلفِ آياتِ عُلوِّ اللهِ بعلوِّ المكانةِ والمَنزلةِ مع نَفيِ عُلوِّ المكانِ الحقيقي.

الوجهُ الثَّالث: عُلوُّ اللهِ عزَّ وجلَّ المعنويُّ على خلقِه يُدرِكُه كلُّ مخلوقٍ بالفِطرة، ولا يحتاجُ الخلقُ إلى أكثرَ من ألفِ دليلٍ من القرآنِ والسُّنَّة - كما ذكَرنا سابقًا - حتَّى يعرِفوا أنَّ اللهَ أعظمُ منهم قَدْرًا ومَنزلةً! وهل يَشكُّ عاقلٌ أنَّ الإلهَ أعظمُ قَدْرًا ومَنزلةً من المخلوق؟!
هذا ممَّا لا يَشكُّ فيه أحدٌ.

الوجهُ الرَّابع: لا يُمكِن أن يَفهَمَ عاقلٌ من نصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ الواردةِ في إثباتِ عُلوِّ الله عزَّ وجلَّ أنَّها محمولةٌ على العُلوِّ المعنويِّ لا المكانيِّ الحسِّي، فظواهرُ النُّصوصِ مستعصيةٌ على هذا الفهم، وصَرفُ ظواهرِ النُّصوصِ إلى غيرِ ظاهرِها أقربُ إلى التَّحريفِ منهُ إلى التَّأويل.

فعن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: "بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ."[1]

وهذا الأثرُ لوحدِه يَنسِفُ هذا التَّأويلَ الفاسِد، إلَّا أن يقولَ إنَّ فوقيَّةَ السَّماءِ الثَّانيةِ على الأولى فوقيَّةٌ معنويَّةٌ أيضًا، وفوقيَّةَ الماءِ على الكُرسيِّ فوقيَّةٌ معنويَّة، وفوقيَّةَ العرشِ على الماءِ فوقيَّةٌ معنويَّة، فإن قال هذا تركناه ولم نُجِبْه، فهو أقربُ إلى الجنونِ منهُ إلى العافيةِ، ولا كلامَ لنا مع المجانين.

[1] - [التوحيد لابن خزيمة]

الوجهُ الخامس: قد عبَّر أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ على أنَّ عُلوَّ الله على خلقِه بذاتِه، حتَّى يقطعوا الطَّريقَ أمامَ كلِّ مبتدِعٍ يُريدُ أن يُحرِّفَ النُّصوصَ ويُؤوِّلَها بمثلِ هذا التَّأويل.

قَال الإمام ابن تيميَّة رحمهُ الله: "وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو نَصْرٍ السِّجْزِيُّ فِي كِتَابِ الْإِبَانَةِ لَهُ: وَأَئِمَّتُنَا كَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، وَحَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، وَعَبْدُ اللهَّ بْنُ الْمُبَارَكِ، وَفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ، وَأَحْمَدُ ابْنُ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَّةَ الْحَنْظَلِيُّ، مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللهَّ سُبْحَانَهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّ عِلْمَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَأَنَّهُ يَرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَبْصَارِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ، فَمَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْهُمْ بَرِيءٌ وَهُمْ مِنْهُ بَرَاءٌ."[1]

قالَ الإمامُ المزنيُّ رحمهُ الله: "عَال على عَرْشه فِي مجده بِذَاتِهِ."[2]

---

1 – [بيانُ تلبيسِ الجهميَّة]

2 – [شرح السُّنَّة]

قالَ الإمامُ ابن القيِّم رحمهُ الله: "الجَهْمِيَّةَ لَمَّا قَالُوا إِنَّ الاِسْتِوَاءَ مَجَازٌ، صَرَّحَ أَهْلُ السُّنَّةِ بِأَنَّهُ مُسْتَوٍ بِذَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ."[1]

وقال ابن أبي شيبةَ رحمهُ الله: "تَوَافَرَتِ الْأَخْبَارُ عَلَى أَنَّ اللهَّ تَعَالَى خَلَقَ الْعَرْشَ فَاسْتَوَى عَلَيْهِ بِذَاتِهِ ثُمَّ خلق الأرض والسَّموات، فَصَارَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، وَمِنَ السَّمَاءِ إلى العرش، فَهُوَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ وَفَوْقَ الْعَرْشِ بِذَاتِهِ."[2]

قال الإمام الذَّهبيُّ: "قَالَ الإِمَام أَبُو مُحَمَّد بن أبي زيد المغربي شيخ الْمَالِكِيَّة فِي أول رِسَالَته الْمَشْهُورَة فِي مَذْهَب مَالك الإِمَام: "وَأَنه تَعَالَى فَوق عَرْشه الْمجِيد بِذَاتِهِ، وَأَنه فِي كل مَكَان بعِلْمِهِ." وَقد تقدم مثل هَذِه الْعبارَة عَن: أَبِي جَعْفَرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَعُثْمَان بن سعيد الدَّارمِيّ، وَكَذَلِكَ أطلقها يحيى بن عمار واعظ سجستان فِي رِسَالَته، والحافظ أَبُو نصر الوائلي السجْزِي فِي كتاب الْإِبَانَة لَهُ فَإِنَّهُ قَالَ: "وأئمتنا كالثوري وَمَالك والحماد وَابْن

[1] – [مختصر الصَّواعق]

[2] – [العرش وما روي فيه]

عُيَيْنَة وَابْن الْمُبَارك والفضيل وَأحمد وَإِسْحَاق متفقون على أَن الله فَوق الْعَرْش بِذَاتِهِ وَأَن علمه بكل مكان."[1]

والنُّصوصُ في هذَا كثيرةٌ جدًّا، يعسرُ حصرهَا، وإنَّمَا ذكرتُ طرفًا منها لتقرَّ أعين الموحِّدين، ولتحمرَّ أنوف المضلِّين، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.



[1] – [العلوُّ للعليِّ الغفَّار]

الخَاتِمَة

إنَّ ممَّا قرأتم من ضلالٍ وكفرٍ لَهُوَ شيءٌ يسيرٌ من مذهبِ الأشاعرةِ الذي خالفَ إجماعَ الأمَّةِ والمؤمنينَ في عقيدتِهم وتوحيدِهم، فلم نتطرَّقْ إلى أبوابٍ كثيرةٍ ضلَّ الأشاعرةُ فيها وأضلُّوا، كبابِ الألوهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ والإيمانِ والقَدَرِ والنُّبُوَّاتِ وغيرِ ذلك. وقد تركتُ لكم مصادرَ كثيرةً في بدايةِ الرِّسالةِ لمن أرادَ التوسُّعَ والقراءةَ عنهم.

وبعد أن مررنا مرورًا سريعًا على ما أظهرَهُ مشهورٌ فواز من مخالفاتٍ عقديَّةٍ في بابِ الأسماءِ والصِّفات، قد يأتي قائلٌ ويقولُ: كيفَ لهذا الرَّجلِ أن يضلَّ كلَّ هذا الضَّلالِ في هذه المسائلِ البيِّنةِ الواضحةِ التي تدلُّ عليها نصوصُ الشَّريعةِ والعقولُ والفِطَرُ؟

فأقولُ: هذا حتَّى نَعرِفَ أنَّ التوفيقَ والرَّشادَ من اللهِ وحدَه، فمَن أرادَ اللهُ هدايتَه إلى الخيرِ هداهُ ولو كان أجهلَ النَّاس، ومَن أرادَ ضلالَه أضلَّهُ ولو كان أعلمَ النَّاس.

وفي هذا يقولُ ابنُ تيميَّةَ واصفًا علماءَ المتكلِّمين: «ومن وجهٍ آخرَ إذا نظرتَ إليهم بعينِ القَدَرِ والحَيرةِ مستوليةً عليهم، والشيطانِ مستحوذًا عليهم، رحمتَهم ورفقتَ عليهم، أُوتُوا ذكاءً وما أُوتوا زكاءً، وأُعطُوا فُهومًا وما أُعْطُوا علومًا، وأُعطوا سمعًا وأبصارًا وأفئدةً، ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ﴾.»[1]

فنسألُ اللهَ أَلَّا يَكِلنا إلى أنفسِنا طرفةَ عينٍ، وأن يهدينا ويَهديَ بنا، إنَّه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليه.

وصَلَّى اللهُ على محمَّدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ أجمعين.

تمَّتِ الرِّسالةُ بحمدِ اللهِ / كتبهَا: المُعتَصِمُ بن مازن ابن إدريس.

---

[1] - [الحمويَّة]

الفِهْرِسْ